

ردمء: ٤٥٨٦-٢٥٢١



العتبة العتبات المقتدات
الهنا العتبات احياء التراث

المسئاة

مئة علمية نصف سنوية

تعنى بالتراث المخطوط والوثائق تصدُر عن مركز احياء التراث

العدد الرابع عشر، السنة السابعة، محرم ١٤٤٥ هـ . آب ٢٠٢٣ م





الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ

مَجَلَّةٌ عَلَيْهِ نِصْفُ سَنَوِيَّةٍ

تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الْمَخْطُوطِ وَالْوَثَائِقِ تَصَدَّرُ عَنْ مَرْكَزِ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ

الْعَدَدُ الرَّابِعُ عَشَرَ

السَّنَةُ السَّابِعَةُ، مُحْرَمُ ١٤٤٥ هـ . آبُ ٢٠٢٣ م



العتبة العباسية المقدسة
الهيئة العليا لإحياء التراث
مركز إحياء التراث

العتبة العباسية المقدسة. الهيئة العليا لإحياء التراث. مركز إحياء التراث.

الخزانة : مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالتراث المخطوط والوثائق / تصدر عن مركز إحياء التراث ...
كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، الهيئة العليا لإحياء التراث، مركز إحياء التراث، 1438 هـ . = 2017 -

مجلد : إيضاحيات ؛ 24 سم

نصف سنوية- العدد الرابع عشر، السنة السابعة (آذار 2023)-

ردمدم : 4586 - 2521

تتضمن ملاحق.

تتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

النص باللغة العربية ومستخلصات باللغة العربية والإنجليزية.

1. المخطوطات العربية--دوريات. ألف. العنوان.

LCC: Z115.1 .A8378 2023 NO. 14

DDC : 011.31

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

التقييم الدولي

ردمدم: ٤٥٨٦-٢٥٢١

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢٢٤٥ لسنة ٢٠١٧م

كربلاء المقدسة - جمهورية العراق

يمكن الإتصال أو التواصل مع المجلة من خلال:

٠٠٩٦٤ ٧٨١٣٠٠٤٣٦٣

الموقع الإلكتروني: Kh.hrc.iq

الإيميل: Kh@hrc.iq

صندوق بريد: كربلاء المقدسة (٢٣٣)

الإشراف العام
سماحة السيّد أحمد الصافيّ

رئيس التحرير

السيّد ليث الموسويّ
المشرف على قسم الشؤون الفكرية والثقافية

سكرتير التحرير

م.م. حسين هليلب الشيبانيّ

مدير التحرير

محمّد محمّد حسن الوكيل

هيئة التحرير

أ.م.د. محمّد عزيز الوحيد
م.م. علي حبيب العيدانيّ

أ.د. ضرغام كريم الموسويّ
حسن عريبي الخالديّ

علي عداي ناھي الحسنائيّ

تدقيق اللغة العربية

م.م. رضي فاهم الكنديّ

الإخراج الفنيّ

علي حسين علوان التميميّ

الهيئة الاستشارية

الأستاذ المتمرس الدكتور صاحب ابو جناح (العراق)

كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

الأستاذ المتمرس الدكتور طارق عبد عون الجنابي (العراق)

كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

الأستاذ المتمرس الدكتور محيي هلال السرحان (العراق)

كلية الحقوق/ جامعة النهرين

الأستاذ المتمرس نبيلة عبد المنعم (العراق)

مركز إحياء التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور أحمد شوقي بن بيمين (المغرب)

مدير الخزانة الحسينية بالقصر الملكي بالرباط

الأستاذ الدكتور سعيد عبد الحميد (مصر)

وزارة الآثار المصرية

الأستاذ الدكتور صالح مهدي عباس (العراق)

مركز إحياء التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور فاضل مهدي بيّات (تركيا)

مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية

الأستاذ الدكتور منذر علي المنذري (العراق)
كلية الآداب/ جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور وليد محمد السراقبي (سوريا)
كلية الآداب/ جامعة حماة

الأستاذ الدكتور وليد محمود خالص (الأردن)
مجمع اللغة العربية/ عمان

الأستاذ المساعد الدكتور عباس هاني الجراخ (العراق)
مديرية التربية/ محافظة بابل

الأستاذ المساعد الدكتور علي فرج العامري (إيطاليا)
كلية العلوم الاجتماعية/ جامعة ميلانو بيكوكا
مكتبة الأمبروزيانا/ ميلانو

الأستاذ عبد الخالق الجنبي (السعودية)
عضو الجمعية السعودية للتاريخ والآثار
عضو جمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون الخليجي

شروط النشر

- تنشر المجلة البحوث العلمية والدراسات المتعلقة بالمخطوطات والوثائق، والنصوص المحققة، والمتابعات النقدية الموضوعية لها.
- يلتزم الباحث بمقتضيات البحث العلمي وشروطه في الإفادة من المصادر والإحالة عليها، والأخذ بأدب البحث في المناقشة والنقد، والآ يتضمّن البحث أو النصّ المحقق مواضيع تثير نعرات طائفية أو حساسية معينة تجاه ديانة أو مذهب أو فرقة.
- أن يكون البحث غير منشور سابقاً، وليس مقدّماً إلى أية وسيلة نشر أخرى، وعلى الباحث تقديم تعهد مستقل بذلك.
- يُكتب البحث بخط (Simplified Arabic) بحجم (١٦) في المتن، و (١٢) في الهامش، على أن لا يقل عن (٢٠) صفحة (A٤).
- يُقدّم البحث أو النصّ المحقق مطبوعاً على ورق (A٤) بنسخة واحدة مع قرص مدج (CD)، على أن تُرّم الصفحات ترقيمًا متسلسلاً.
- تقديم ملخص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في صفحة مستقلة ويضمّ عنوان البحث، وأن لا يزيد المُلخّص على صفحة واحدة.
- تُراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة، بإثبات اسم المصدر، واسم المؤلف، ورقم الجزء، ورقم الصفحة، مع مراعاة أن تكون الهوامش مرقّمة بشكل مستقل في كلّ صفحة.
- يزود البحث بقائمة المصادر بشكل مستقل عن البحث، وتتضمّن اسم المصدر أو المرجع أولاً، فاسم المؤلف، ويليه اسم المحقق أو المراجع أو المترجم في حال وجوده، ثم الطبعة، فدار النشر، ثم البلد الذي نُشر فيه، وأخيراً تاريخ النشر، ويُراعى في إعدادها الترتيب الأبجائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجالات، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية.

- تخضع البحوث لبرنامج الاستئلال العلمى ولتقووم سرى لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تُعاد إلى أصحابها سواء قُبلت للنشر أم لم تُقبل، على وفق الضوابط الآتية:
- يُبلِّغ الباحث أو المحقق بتسليم المادة المرسله للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسليم.
- يُبلِّغ أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيئة التحرير على نشرها وموعده المتوقع خلال مدّة أقصاها شهران.
- البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تُعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحددة، ليعملوا على إعادة إعدادها نهائياً للنشر.
- البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- يمنح كل باحث أو محقق نسخة واحدة من العدد الذي نُشر فيه بحثه، مع ثلاثة مستلّات من المادة المنشورة، ومكافأة مالية.

تراعى المجلة في أولوية النشر:

- 1- تاريخ تسليم رئيس التحرير للبحث.
 - 2- تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها.
 - 3- تنوع مادة البحوث كلما أمكن ذلك.
- البحوث والدراسات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
 - تُرتب البحوث على وفق أسس فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.
 - يرسل المحقق أو الباحث الذي لم يسبق له النشر في المجلة موجزاً عن سيرته العلميّة، وعنوانه، وبريده الإلكتروني؛ لأغراض التعريف والتوثيق، على بريد المجلة الإلكتروني: Kh@hrc.iq
 - لهيأة التحرير الحق في إجراء بعض التعديلات اللازمة على البحوث المقبولة للنشر.
 - تنتخب هيئة التحرير البحوث المتميّزة المنشورة في المجلة وتتكفل بإعادة طباعتها بشكل مستقلّ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْأَمَانَةُ الْعِلْمِيَّةُ

رئيس التحرير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام.

إنّ مهمة تحقيق النصوص من المهام التي يجب أن لا يضطلع بها إلا من كانت له دراية تامة بمراحلها بشكل عملي وتطبيقي، ومعرفة جيّدة بعالم المخطوط، وبالصفات الواجب توافرها في المحقق، فإنّه من دون الإلمام بهذه الجوانب سيقع الممارس لهذا العمل بمشاكل عديدة، وسيكون عرضةً لنقد المختصين، فضلاً عن عدم رضا المؤلف نفسه أصلاً، ممّا يوقعه بإشكال شرعيّ قد يُحاسب عليه يوم القيامة.

وممّا سنتعرّض له في هذه الوجيزة هو سمةٌ مهمةٌ، ونراها أساسية لا بدّ من أن يكون المشتغل بهذا العلم متلبساً بها، ألا وهي (الأمانة العلمية).

فالأمانة كما هو معلوم من السجايا الحميدة التي حثّ عليها الإسلام والشارع المقدّس، وهي من مكارم الأخلاق التي تُعطي لمن اتّصف بها مكانةً ساميةً بين أبناء مجتمعه، وهي ركيزةٌ أساسيةٌ لتنظيم حياة الإنسان مع أقرانه، وقد أكّد عليها نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وآله وصحبه في مروياته بعد أن كان هو نفسه مصداقاً حقيقياً لهذا الخلق الرفيع، حتى عُرف صلوات الله عليه بـ(الصادق الأمين).

وعليه فإنّها تعدّ من أهم الصفات التي يجب أن يتخلّق بها من يروم الاشتغال بالتحقيق في رحلته العلمية مع النصوص التي بين يديه، وبيانه أن يلتزم تماماً بقواعد التحقيق الرئيسية التي من أهمها إخراج النصّ كما أراده أو وضعه مؤلّفه، ممّا يترتب عليه التقيّد بما مسطور في النسخة قيد التحقيق من دون اضافة أو حذف. لا أن يتصرّف به محرّفاً بذلك الغرض من التحقيق المذكور إلى كونه (إخراج النصّ كما يريد المحقق).

و يا للأسف.. فإنّ هذا الأمر يُعدّ مخالفةً جليّةً لقاعدة أساسيّة من قواعد التحقيق، وتجاوزًا فاحشًا على خُلق رفيع من حيث عدم الالتزام بالأمانة العلميّة في ذلك، وقد ابْتُليت النسخ الخطيّة في عصرنا الحاضر بهذه الآفة على أيدي البعض ممّن ليس له خبرة أو دراية بهذا المجال، أو كونه مبتدئًا، أو ممّن يرى في نفسه شيئًا من العلم فلا تحمله أرضٌ ولا تسعه سماء، فتراه يتلاعب بالكلمات والعبارات بناءً على ما يراه، مقدّمًا تارةً ومؤخّرًا أخرى دون السؤال أو الرجوع إلى أهل الخبرة والاختصاص، وهو بذلك كأنه يبارز المؤلّف في كتابه.

نعم، قد يتّبع البعض ممّن له ممارسة ودراية بأصل التحقيق، وهو متخصصّ بموضوع النص الذي يعمل عليه، منهجيّةً وسطيّةً في ذلك؛ بأنّ يُحافظ على النصّ كما هو، ويشير في الهامش إلى معتقده في موضع الإشكال بحسب تخصصه. وقد يعمد بعضهم إلى الإضافة من دون الحذف مع الإشارة في الهامش متبّعًا في ذلك منهجيّة أخرى في التحقيق، هذا لمن خَبَرَ العمل والموضوع. أمّا فتحُ هذا الباب على مصراعيه أمام الجميع على اختلاف مستوياتهم العلميّة، واعتماده بوصفه قاعدةً جديدةً من قواعد تحقيق النصوص، فيعدّ سابقةً خطيرةً تُسهم في انحراف المنهج الصحيح المعتمد لدى أهل الخبرة في هذا المجال.

علمًا أنّ الأمانة العلميّة الواجب حضورها عند المحقّق لا تقف عند هذا الحدّ، بل تتعدّاه إلى جوانب عديدة أخرى، كالالتزام بالعنوان، وبيان المنهج الحقيقي للمؤلّف في مقدمة التحقيق.. وغيرها من الأمور المتعارفة عند أهل هذا الفنّ.

ومن هنا فإنّنا ندعو كلّ من له رغبة للولوج في هذا المعترك أنّ يعي أهمية ما بين يديه من تراثٍ خطيٍّ، وأنّ يستفيد من تجارب الأساتذة في هذا الجانب وغيره، وأنّ يتصوّر المؤلّف حيًّا لا ميتًا، فيراجع نفسه ويفكّر مليًّا هل سيرضى بما تحبّره يداه في كتابه أم لا؟

والحمد لله أولاً وآخراً.

المحتويات

الباب الأول: دراسات تراثية

يوسف الهادي باحث تراثي العراق	الشرارة التي أشعلت نيران الغزو المغولي للعالم الإسلامي	١٧
الشيخ ستار كريم الفرطوسي الحوزة العلميّة - النجف الأشرف العراق	تأثير العلامة الحليّ في معاصريه من أعلام الزيدية، العلامة إبراهيم بن محمّد الصنعائيّ (ق ٨هـ) أمودجّا	٧٥
م. د. مقدام محمّد جاسم البياتي باحث تراثي العراق	نسخة خطيّة نجت من مذبحه نجيب باشا لكربلاء المقدّسة سنة (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢ - ١٨٤٣م)	١٠٥
منيف فياض مركز إحياء التراث - العتبة العباسيّة المقدّسة العراق	السيد أبو القاسم بن الحسين الرضويّ اللاهوريّ (ت ١٣٢٤هـ) حياته وآثاره	١٢٧
الدكتور الغالي بنهشوم جامعة مولاي إسماعيل المغرب	المنهج الكوديكولوجيّ من خلال مخطوط (ترتيب ديوان المتنبيّ) لعبد العزيز الفشتاليّ.	١٦٥

الباب الثاني: نصوص محقّقة

تحقيق: الشيخ علي حران الزيادي مركز الشيخ الطوسيّ قسّ للدراسات والتحقيق العتبة العباسيّة المقدّسة العراق	رسالة في مصالحة المحقّق مع خصمه عند عجزه عن إبراز حجّته. تأليف: السيد حسين بن محمّد إبراهيم الحسينيّ القزويني (ت ١٢٠٨هـ)	٢٠٣
تحقيق: وحيد الشونديّ باحث تراثي إيران	وجيزة في النحو تأليف: العلامة السيد عليّ الحسينيّ المبيديّ اليزديّ (١٢٦٠ - ١٣١٣هـ)	٢٣٣

الباب الثالث: نقد النتاج التراثي

زيادات على كتاب (المسائل والأجوبة) المنسوبة لأبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)	٢٨٣
استدراك وتحقيق: الأستاذ الدكتور وليد السرايبي جامعة حماة سوريا	
مُعجم الدّواوين والمجاميع الشّعريّة التي حقّقها العراقيّون حتّى سنة (٢٠١٧م) نظرات ... ومستدرك	٣٣٩
الأستاذ المساعد الدكتور عباس هاني الجرخ مديريّة تربية محافظة بابل العراق	

الباب الرابع: فهرس المخطوطات وكشافات المطبوعات

مُعجم ما كُتب في التّراجم المفردة للعلّماء والأعلام. القسم الثاني	٣٧٥
إبراهيم السيّد صالح الشريفيّ الحوزة العلمية / النجف الأشرف العراق	
فهرس مخطوطات مكتبة الأديب الأستاذ محمدعليّ البلاغيّ.	٣٩٥
إعداد: صلاح مهدي السراج مدير مركز تصوير المخطوطات وفهرستها في العتبة العباسيّة المقدّسة تقديم: الدكتور سند محمدعليّ البلاغيّ العراق	

الباب الخامس: أخبار التراث

من أخبار التراث	٤٩٣
هيئة التحرير	



الشَّرَارَةُ الَّتِي أَشْعَلَتْ نِيرَانَ الْغَزْوِ
الْمَغُولِيِّ لِلْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

*The Spark That Ignited the Mongol
Invasion of The Islamic World*



يوسف الهادي

باحث تراثي

العراق

Youssef Al-Hadi

Heritage Researcher

Iraq



الملخص

عند عودة السلطان محمد خوارزم شاه من حملته الفاشلة على العاصمة بغداد إلى مقره في بلاد ما وراء النهر، وصل إليه رُسل چنگيز خان في ربيع سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، يحملون هداياه إلى خوارزم شاه مع رسالة سلامٍ بليغةٍ يطلب فيها أن يفتح التجار في البلدين التبادلات التجارية؛ ليعمّ النفع الشعوب التي تعيش على جانبي الحدود، وعلى الرغم من عدم رغبة السلطان الأكيدة بالاستجابة، لكنّه ردّ برسالةٍ مسالمةٍ أيضاً؛ ممّا شجّع چنگيز خان على أن يرسل قافلةً تجاريةً ضمّت (٤٥٠) تاجرًا ومعهم نفائس التجارة؛ ليدشّنوا هذه العلاقة الجديدة، فإنّ كان الأمر كذلك، تُرى ما الذي حدث ليبدأ ذلك الاجتياح المغوليّ الوحشيّ المدمرّ؟

إنّ الكلام على الغزو المغوليّ بدءًا من تحرّك الجيوش المغوليّة ومهاجمتها المدن الإسلاميّة من غير ذكر الواقعة التي سنتناولها في بحثنا سيكون عقيمًا وعابثًا. واقعةٌ إجراميةٌ كان سببها الطمع والجشع أدّت إلى أن يفتح المغول أبواب الجحيم على مدن العالم الإسلاميّ، وحكوماته ويرتكبوا أشنع الأفاعيل بحقّ شعوبه، فإلى تفاصيل هذه الواقعة.

Abstract

Upon the return of Sultan Muhammad Khwarazm Shah from his failed crusade against the capital; Baghdad, to his headquarters in Transoxiana, messengers from Genghis Khan arrived to him in the spring of 615 AH / 1218 AD. They carried gifts to Khwarazm Shah with an eloquent message of peace, requesting that merchants in the two countries open exchanges. This was so that people who lived on both sides of the border would benefit. Despite the Sultan's definite unwillingness to respond, he responded with a peaceful message in exchange. This encouraged Genghis Khan to send a trade convoy that included (450) merchants and with them the valuables of trade to inaugurate this new relationship. If that was the case, what happened to start that brutal and destructive Mongol invasion?

Talking about the Mongol invasion, starting with the movement of the Mongol armies and their attack on Islamic cities without mentioning the incident that we will discuss in our research, would be useless. A criminal incident that was caused by greed and greed led to the Mongols opening the gates of hell to the cities and governments of the Islamic world and committing the most heinous acts against its people, so here are the details of this incident.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صراع الإرادات

مع مطلع القرن السابع الهجريّ كانت هناك ثلاث قوى تتصارع في المنطقة الممتدّة من مدينة بلاساغون التي «هي الحدّ الفاصل بين بلاد الإسلام وبلاد البوذية في الشرق»^(١)، والصين، وهي:

١. المغول الذين أصبحوا قوّةً عاتيةً بقيادة زعيمهم المقتدر چنگيز خان الذي دانت له بالطاعة منذ سنة (١٢٠٣م) قبائل منغوليا الشرقية بأسرها^(٢)، وكانوا في صراعٍ طويلٍ مع أسرة كين التي كانت تحكم الصين آنذاك، إذ تمكّن من فتح بكين سنة ٦١٢هـ / ١٢١٥م.
٢. القراخطائيون في بلاد ما وراء النهر؛ وكانوا قبائل من أصل مغوليّ هاجرت من الصين الشمالية^(٣)، وكانت في صراعٍ مع الدولة الخوارزمية المجاورة لهم.
٣. الدولة الخوارزمية التي تولى الحكم فيها السلطان علاء الدين محمّد خوارزم شاه منذ سنة ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م، والذي تمكّن أخيراً من القضاء على دولة القراخطائيين سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م.

تاريخياً، فقد تعزّزت مكانة الدولة الخوارزمية عندما طلب الخليفةُ الناصر لدين الله من السلطان الخوارزمي علاء الدين تكّش (والد علاء الدين محمّد) أن ينجده للقضاء على طغرل بك آخر الملوك السلاجقة على أن يعطيه ما تحت يد هذا الملك من البلاد جائزةً له، وقد سارع تكّش إلى تلبية هذا الطلب واشتبك في معركة طاحنة قرب الريّ مع الجيش السلجوقيّ سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٣م انتهت بانتصار السلطان، فبادر إلى قطع رأس طغرل بك

(١) أطلس تاريخ الإسلام: مؤنس: ٢٣٨.

(٢) ينظر تاريخ الشعوب الإسلامية: بروكلمان: ٣٨٢.

(٣) ينظر إمبراطوري صحرا نوردان: غروسيه: ٢٧٥.

وأرسله إلى الخليفة الذي عرضه عدّة أيامٍ في باب النوبي ببغداد^(١)، ولم يكتفِ تكشُّه بالسيطرة على همذان عاصمة السلاجقة بل ضمَّ إليها خراسان والريِّ وأصفهان والجبال^(٢)، وبعد ستَّ سنواتٍ من هذا الانتصار تُوِّفي علاء الدين تكشُّ في سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م، ليخلفه نجله الذي حمل لقبه نفسه؛ علاء الدين محمَّد خوارزم شاه.

الدولة الخوارزمية

يُخصَّص الدكتور مؤنس أسماء المناطق التي كان يحكمها الخوارزمية - وهم أسرة تركية - على عهد السلطان الجديد، فيقول: «عندما تولى علاء الدين محمَّد خوارزم شاه سنة ٥٩٦هـ/١٢٠٠م، شرع في توسيع مملكته؛ ففضى على قوَّة القراخطاي في بلاد ما وراء النهر واحتلَّ سمرقند، وبذلك أصبحت بلاده في مواجهة المغول بقيادة چنګيز خان، ثمَّ طارد بقية الغوريين في إيران ووضع يده على بلادهم، ودخلت الترك القفجاق في طاعته؛ وقد تمَّ ذلك سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م؛ وبذلك شملت دولة خوارزم شاه كلَّ هضبة إيران بالإضافة إلى آذربايجان»^(٣).

وقد اتَّخذ من سمرقند عاصمة له، وكان له من الهيمنة والمُلْك ما حدا معاصره العوفيَّ على أن يسمِّيه بـ(الإسكندر الثاني) ويقول: «إنَّ ما يُسَرُّ لهذا المَلِكِ مَلاذِ العالم، من صَبِطِ الأقاليم، وقهرِ الأعادي، وبرِّ الأيادي، والفتْح، لم يظهر لأحدٍ إطلاقًا، منذ ابتداء العالم وإلى يومنا هذا، ولم يُشاهد في أيِّ تاريخ»^(٤)، وقال ياقوت الذي زار بلاده على عهده: «كان سلطانَ المشرقِ كلَّه إلى باب همذان»^(٥).

(١) ينظر تاريخ جهانګشاي: الجويني: ٣٢/٢.

(٢) ينظر الكامل في التاريخ: ابن الأثير: ١٠٧/١٢ - ١٠٨؛ إنسان العيون: ابن أبي عذبية: ٥٦؛ الجامع المختصر: ابن الساعي: ٣٥/٩.

(٣) أطلس تاريخ الإسلام: ٢٣٩.

(٤) لباب الأبواب: العوفي: ٤٢/١ - ٤٣.

(٥) معجم البلدان: ياقوت: ٨٥٨/٤.

صِدَامٌ مَحْدُودٌ لَكِنَّهُ خَطِيرٌ

سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م انطلق توشي بن چنگيز خان مع عساكره مُكَلَّفًا من قِبَلِ أَبِيهِ بمطاردة توك طغان زعيم المركيت وأفراد قبيلته الذين غادروا منغوليا هاربين من حملات چنگيز خان؛ وحدث في الوقت نفسه أَنَّ السُلْطَانَ مُحَمَّدًا خوارزم شاه كان يطاردهم أَيضًا للقضاء عليهم، لكنَّ الظروفَ الجَوِّيَّةَ (انجماد ماء أحد الأنهار التي كان ينبغي له عبورها) أَخْرَتْ خوارزم شاه عن مهمته؛ فتمكَّن توشي من هزيمتهم وقتل توك طغان، وأرسل من هناك إلى السُلْطَانَ من قال له: «إِنَّهُ يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنْهِي [إليه]»^(١) أَنَّهُ لَمْ يَتَعَدَّ إِلَى هَذِهِ الْجِهَةِ مَتَعَدِّيًا طَوْرَهُ، بَلْ فِي خِدْمَةِ السُّلْطَانَ، وَقَلْعًا لِمَنْ نَبَذَتْهُ كَوَاذِبُ الْأَمَالِ، ودواعي المحال إلى أطراف مملكته (مملكة خوارزم شاه)، وقد كفى (توشي) السُلْطَانَ مَوْوَنَةً النَهْضَةَ، وَكُلْفَةَ التَّجَشُّمِ لِأَجَلِهِ؛ فَأَوْقَعَ بِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَعْدَاءِ السُّلْطَانَ، فَفَرَّصَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ وَأَهْلَهُمْ، وَسَاقَ غَنَائِمَهُمْ؛ وَهِيَ بَاسِرُهَا بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانَ يَحْكُمُ فِيهَا كَيْفَ شَاءَ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُنْعَمَ بِبَعْضِهَا عَلَى مَنْ بَاشَرَ الْقِتَالَ (أَي توشي وَمَنْ مَعَهُ)، وَإِلَّا فَيُوجِّهُهُ إِلَيْ مَنْ يَتَسَلَّمُهَا وَيُسَوِّقُهَا إِلَى مَخِيمِهِ، وَقَدْ ذَكَرَ فِي جُمْلَةٍ مَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِسُلُوكِ مَسْلُكِ الْأَدَبِ إِنْ صَادَفَ عَسْكَرًا مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي وَجْهَتِهِ تَلْكَ وَحَدَّرَهُ أَنْ يَبْدُو مِنْهُ مَا يَرْفَعُ سِتْرَ الْاِحْتِشَامِ، وَيُنَافِي مَذْهَبَ الْإِعْظَامِ»^(٢)، وَهُوَ أَمْرٌ صَرِيحٌ مِنْ وَالِدِهِ بِعَدَمِ الْاِصْطِدَامِ بِجَيْشِ خَوَارِزْمِ شَاهٍ.

هل توجد رسالة سلام أكثر وضوحًا من هذه التي كان چنگيز خان قد أوصى بها نجله ليخبر بها خوارزم شاه؟

قائدٌ منتصرٌ وبيده غنائم المهزومين يُعلن بأدب أَنَّهُ مستعد لتقديم كل ما بيديه للسُلْطَانَ، وَأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ هُوَ بِوَصِيَّةٍ مِنْ أَبِيهِ الَّذِي طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُظْهِرَ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْاِحْتِرَامِ للسُّلْطَانَ، بَلْ إِنَّهُ يَجْعَلُ مِنْ نَفْسِهِ وَكَأَنَّهُ قَدْ قَاتَلَ نِيَابَةً عَنِ السُّلْطَانَ دَافِعًا عَنْهُ عَنَاءَ تَجَشُّمِ الْقِتَالِ وَمَحَقِّقًا رَغْبَتَهُ بِالْقَضَاءِ عَلَى عَدُوِّهِ، فَمَا كَانَ مِنَ السُّلْطَانَ الْخَوَارِزْمِيِّ الْمَغْرُورِ إِلَّا

(١) أَنهَى إِلَيْهِ الْخَبَرَ: أَبْلَغَهُ بِهِ.

(٢) سيرة السُلْطَانَ جلال الدين منكبرني: النَّسَوِيُّ: ١٢ - ١٣.

أن تلبس بلباس التقيِّ المجاهد في سبيل الله وأجابه بجوابٍ استفزازيٍّ مُهين قائلاً: «إنَّ چنگيز خان إنَّ كان أمرَكَ أن لا تقاتلني، فالله تعالى قد أمرني أن أقاتلك، ووعدني على قتالك الحُسنى؛ فلا فرقٌ عندي بينك وبين كور خان وكشلو خان^(١) لاشتراككم في الشُّرك، فأذُنٌ بحربٍ تتقَصَّف فيه الرماح، وتتحمَّطُ فيها الصفاح»^(٢)، وكان السلطان قد نوى آنذاك أن يضرب عصفورين بحجرٍ واحدٍ^(٣)، فيقضي على كوشلك خان وتوشي.

هنا أحسَّ توشي إنَّه إنَّ لم يقاتله فسيزداد غيًّا، فبادر إلى الاشتباك مع قوَّاته في معركةٍ كُرٌّ وفرٌّ توقَّفت عند المساء على أن يُستأنف القتال في يوم غدٍ، لكنَّ توشي وجنوده انسحبوا تحت جنح الظلام.

كان أهمُّ نتيجةٍ لهذه المعركة الصغيرة التي نشبت بين عساكر توشي وخوارزم شاه أنَّها خلَّفتُ وإلى الأبد الرعب من المغول في قلب السلطان خوارزم شاه بعد أن شاهد عيَّانًا شراستهم في القتال، يقول المؤرِّخ النَّسويُّ: «تمكَّن في قلب السلطان من الرعب والاعتقاد ببسالتهما ما إذا ذُكروا في مجلسه يقول: لم يُرَّ كرجالهم إقدامًا وثباتًا على مَضِّ الحَرْبِ، وخبرة بقوانين الطعن والضُّرب»^(٤).

توقف هنا قليلاً لنقول للذين رأوا أن چنگيز خان كان سيهاجم بلاد خوارزم شاه حتمًا؛ نظرًا لامتلاكه القوَّة العسكريَّة وأنَّ الزمن سيهديه إلى التوسُّع على حساب جيرانه كما صنع مع الصين - مثلًا - وبعض البقاع التي كان يحكمها حكامٌ من القبائل المجاورة؛ نقول: لو أراد ذلك فإنَّ أفضلَ فرصةٍ له هي هذا الاحتكاك بين جيشي توشي والسلطان، وكان يمكن أن يتَّخذها أفضلَ ذريعة، لكنَّنا سنرى أنَّه كان مخلصًا في إقامة السلام مع السلطان، ولم يبادر إلى شنُّ الحرب إلاَّ بعد أن استنفد السبيلَ الممكنة لحلِّ ما نَجَمَ عن واقعة مدينة أترار الإجماعيَّة التي سنوردها.

(١) كور خان: من ملوك القراخانيين في ما وراء النهر. كشلو خان أو كوجلك خان: نجل تايانك خان ملك النايما (تاريخ جهانگشاي: الجويني: ٤٦/١).

(٢) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ١٣.

(٣) كما يقول الجويني في تاريخ جهانگشاي: ١٠٢/٢.

(٤) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ١٣ - ١٤، وينظر نزهة المقلتين: أبو شامة: ٥٦.

التطلع نحو كرسيّ الخلافة العباسيّة

امتدّت أطماع هذا الرجل (محمّد خوارزم شاه) بعيداً نحو الغرب حيث عاصمة الخلافة العباسيّة؛ إذ دفعه حُبُّ التسلّط والهيمنة إلى المطالبة بعرش الخلافة؛ تشبّهاً بالسلاجقة الذين اتّخذوا من اسم الخليفة العباسيّ غطاءً يحكمون به بلاد الخلافة العباسيّة كما قال هو ذلك بشكل صريح في رسالته إلى الخليفة الناصر لدين الله، ولمَ لا؟ أليس أبوه هو الذي رسّخ عرش الخلافة بسيفه؟ ولمَ لا يحقّق الرغبة التي أخفق في تحقيقها أبوه من قبل وكان قد عزّم على قصد بغداد وقاد جيشه إلى هناك، لكنّه توفّي عند وصوله إلى دهستان^(١) وحُمِلَ إلى خوارزم ودُفِنَ عند أهله، وقام بعده ولده محمّد، ولقّب نفسه - كما أسلفنا - بـ(علاء الدين) أيضاً^(٢)؟ وهل هو أقلُّ شأنًا من السلاجقة الذين تحكّموا بالخليفة والخلافة؟ يقول النّسويّ مؤرّخ البلاط الخوارزمي عن توجّهه نحو بغداد: «لَمَّا عَظُمَ شأنُ السلطان وفخّم أمره وتجلّت له الدنيا في أرفع ملابسها، وأشرقت شمس دولته من أكرم مطالعها، واشتملت جريدة ديوان الجيش على ما يقارب ٤٠٠٠٠٠ فارس، سمّت هِمَّتُه إلى طلب ما كان لبني سلجوق من الحكم والمُلْك ببغداد، وتردّدت الرُّسل في ذلك مرارًا فلم يُجِبْ إلى المراد»^(٣)؛ وكان ممّا كتب بصورة صريحة إلى الخليفة: «كُنْ معي كما كانت الخلفاء قبلك مع سلاطين السلجوقيّة، فيكون أمر بغداد والعراق لي، ولا يكون لك إلّا الخطبة»^(٤)، ثم ينقل النّسويّ عن أحد خواصّ السلطان من ذوي الحُظوة لديه - وهو الذي أرسله إلى بغداد مرارًا - قوله إنّ آخر رسالةٍ حملها إلى الخليفة اشتملت على الطلب المذكور، لكنّ الخليفة

(١) «على مسيرة ستة أيام (أو خمسين فرسخًا) من شمال آبسكون، وعلى أربع مراحل من مدينة جرجان، موضع يُعرف بـ(دهستان) في ناحيةٍ بالاسم نفسه؛ وكانت في المئة الرابعة الهجريّة (العاشرة الميلاديّة) ثغرًا في حدّ التُّرك. قال ابن حوقل: دهستان بالقرب من بحر قزوين» (بلدان الخلافة الشريّة: لسترنج: ٤٢٠)، وفي فرهنج فارسي أنّها على الساحل الشمالي لنهر أترك.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام: الذهبي: ١٠٧٠/١٢؛ الوافي بالوفيات: الصفدي: ٢٦٩/١٣؛ الشعور بالعور: الصفدي: ١٣٨؛ إنسان العيون: ١٠٨.

(٣) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ١٤.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى: السبكي: ٣٢٩/١؛ وينظر: مرآة الزمان: سبط ابن الجوزي: ٥٧٧/١٤، وفيه أن جنده كانوا ٤٠٠ ألف، وقيل ٦٠٠ ألف.

أبى ذلك وأنكره كلَّ الإنكار^(١)، وذُكر في روايةٍ أنَّ الخليفة أرسل سراً إلى چنگيز خان يحرضه على عزل السلطان خوارزم شاه عن الحكم^(٢).

فتوى بعدم الأهلية

لجأ علاء الدين خوارزم شاه إلى وسيلةٍ كلاسيكيةٍ كثيراً ما يُلجأ إليها لإقناع الجماهير بفكرةٍ ما، ؛ فاختار سيِّداً عليّياً من خوارزم هو «المرتضى الأعظم علاء الدين الترمذيّ الذي كان من كبار السادات»^(٣) ليتَّخذ منه واجهةً مضمونةً في حالات كهذه إذ تكون الأسرة العلوية في مواجهة الأسرة العباسية، وعلاء المُلك هذا هو نفسه الذي كان متزوِّجاً بابنة الشيخ فخر الدين الرازيّ ووُصِفَ بأنَّه كان «مُتقلِّداً الوزارة للسلطان خوارزم شاه، وكان فاضلاً مُتقناً العلوم والأدب والشعر بالعربية والفارسية»^(٤).

ولكي يدعم هذا التحرك استحصل فتوىً من والد زوجة علاء الملك هذا؛ أي: فخر الدين الرازيّ الشافعيّ (٥٤٤ - ٦٠٦هـ) العالم والمفسّر والواعظ الشهير يقول فيها: إنَّ الخلفاء العباسيين ليسوا مؤهلين للخلافة وعليهم أن يُسلموا الحكمَ إلى أحد أبناء أهل بيت رسول الله ﷺ، وأعلن «أنَّ الخلافة ليست من حقِّ العباسيين، وأنَّ الجديرين بها هم السادة الحسينيون؛ وقد أيدَّ جميعُ أئمة الممالك فتوى الإمام فخر الدين الرازيّ»^(٥)، وهذا يعني أن تُسلم إلى صهر الفخر الرازيّ تحديداً.

علاء الدين محمد خوارزم شاه والتشيع

أدى اختياره لهذا السيّد العلويّ إلى أن يقع حشد من الباحثين في وَهْمٍ مفاده:

- (١) ينظر: سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: النَّسويّ: ١٥؛ تاريخ الإسلام: ٢٧٢/١٣ - ٢٧٣.
- (٢) ينظر جامع التواريخ (تاريخ سلاطين خوارزم): رشيد الدين: ٣١.
- (٣) المصدر نفسه والصفحة. سمّاه الفصيح الخوافي في كتاب مجمل التواريخ: ٧٦٨/٢: (علاء الدين) في حين أنّه (علاء الملك) لدى غيره.
- (٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ابن أبي أصيبعة: ٤٦٦.
- (٥) مجمل التواريخ: فصيح الخوافي: ٧٦٨/٢، حوادث سنة (٦١٤هـ). فإن كانت الفتوى من الفخر الرازيّ فينبغي أن تكون قد صدرت قبل ٦٠٦هـ أو فيها وهي السنة التي توفي فيها.

أنَّ السلطان محمَّد خوارزم شاه اعتنق المذهب الشيعي، وارتكس بعضهم في وهمه أكثر من ذلك فاستبدل كلمة «العلوي» بـ «الشيعي»، متصورًا أنَّ كلَّ علويٍّ هو شيعيٌّ بالضرورة؛ وليس الأمر كذلك، فربَّما كان من الأسرة العلوية من هو حنبلي، ومن هو حنفي، أو شافعي، أو مالكي^(١)، أمَّا القول بأنَّ محمَّد خوارزم شاه اعتنق المذهب الشيعي فلم يذكر هؤلاء الأفاضل من أين جاؤوا بهذا الرأي، وأشهر الذين وقعوا في هذا الغلط الشيع هو الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد الذي قال إنَّ السلطان علاء الدين محمَّدًا «شَرَعَ في اتِّخَاذِ الوسائل التي يراها كفيلاً بتحقيق أغراضه، فاعتنق مبادئ الشيعة وصرَّح بأنَّ الغرض من إزالة الخلافة العبَّاسية هو إقامة خلافة علوية، وكان يهدف من وراء ذلك إلى أن يكسب عمله صفة شرعية وليستميل أهالي تلك البلاد؛ إذ إنَّ أكثرهم كانوا يدينون بمذهب الشيعة»^(٢).

وممَّن وقع في هذا الخطأ الدكتور حافظ حمدي الذي قال: «وقد سرَّ الشيعيون في بلاد فارس أيَّما سرورٍ بهذا النصر المبين الذي أحرزوه، وظنُّوا أنَّ الوقت قد حان لقلب الخلافة العبَّاسية وإقامة خلافة علوية بعد ستَّة قرون من وفاة الرسول قضوها في جهادٍ مستمرٍّ ومحاولات يائسة لتحقيق هذا الغرض»^(٣) (!!!)، وواضح أنَّ كلامه هو من بنات أفكاره، إذ لا يوجد في المصادر التاريخية ما يشير إلى ذلك «السرور» في بلاد فارس المعروفة باتِّباعها للمذاهب السنيَّة آنذاك؛ وقد ردَّد كتَّاب آخرون كلامَ الدكتور حافظ حمدي^(٤).

وبتأثير من هذا الوهم الذي رآه البعض حقيقةً، نجد أحد الباحثين المعروفين من

(١) ينظر بهذا الشأن مثلاً: عمدة الطالب: ابن عنبه: ٢٦٣؛ الكامل في التاريخ: ٩٤/١٢؛ سير أعلام النبلاء: الذهبي: ٥٠٥/١٧؛ هدية العارفين: البغدادي: ١٠٣/٢، على التوالي.

(٢) الصياد، المغول في التاريخ: ٧٠ - ٧١.

(٣) الدولة الخوارزمية والمغول: حمدي: ٤٧.

(٤) ينظر: تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر الهجري: عودات وبيوضون والناطور: ١٥؛ التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية: صبرة: ١٤٣؛ چنگيز خان: عبد الحكيم: ١٢٢، وقد نسب هذا المؤلَّف الكلامَ لنفسه، ولم يُشر إلى نقله من كتاب الدكتور حمدي، مع أنَّه نقل أغلب ما في كتاب حمدي إلى كتابه.

الإمامية يعتقد هذا الرأي؛ حيث يقول السيّد محمّد حسين الحسيني الجلاي في حوادث سنة (٦١٤هـ): «اعتناق خوارزم شاه المذهب الشيعي، وخلع الخليفة العبّاسي الناصر، والدعوة إلى تشكيل خلافة شيعيّة علويّة بعد أن أفتى العلماء له بذلك»^(١).

لقد عاش محمّد خوارزم شاه ومات ولا علاقة له إطلاقاً بالمذهب الشيعي، فقد كان أبوه تكش حنيفياً كما يقول ابن الساعي و «له معرفة بالفقه على مذهب أبي حنيفة»، وقال إنّه بنى في خوارزم مدرسة «عظيمة ووقفها على الفقهاء الحنفيّة»^(٢)؛ وقال ابن كثير: «كان عادلاً حسن السيرة، له معرفة جيّدة بالموسيقى، حسن المعاشرة، فقيهاً على مذهب أبي حنيفة»^(٣)، «وكان حادقاً في الموسيقى ولم يكن أحدٌ ألعبَ بالعود منه»^(٤)، وكان نجله محمّد خوارزم شاه نفسه أيضاً حنيفياً، فهو الذي «سيرَ رئيس الحنفيّة ببخارى وخطبها برهان الدين البخاري إلى خوارزم»، وهو الذي اختار «مجد الدين مسعود بن صالح الفراوي لرئاسة الحنفيّة والخطابة ببخارى»^(٥)، وكان السكّاكي الخوارزمي الذي أقنعه بتنفيذ العمل السحري الذي سنذكره لاحقاً حنيفياً أيضاً^(٦)، كما كان محمّد خوارزم شاه على علاقة وثيقة بالشافعيّة إذ كان شهاب الدين ابن عمران وهو من أهمّ مستشاريه شافعيّاً، و«كان يشاوره في الأمور العظام، ويفاوضه في جلائل الأمور»^(٧)، بل إنّ الإمام فخر الدين الرازي الذي أفتى له بعدم صلاحية بني العبّاس للخلافة كان من مشاهير الشافعيّة.

وأما قول الصياد إنّ أكثر أهل خوارزم يدينون بالمذهب الشيعي فهو أيضاً كلام مغلوط

(١) فهرس التراث: ٦١٣/١.

(٢) الجامع المختصر: ابن الكازروني: ٣٥/٩؛ هذه المعلومات نفسها نجدها لدى الذهبي في تاريخ الإسلام: ١٠٧/١٢؛ الشعور بالعور: ١٣٨.

(٣) البداية والنهاية: ابن كثير: ٢٨/١٣؛ ينظر أيضاً الجامع المختصر: ٣٥.

(٤) الشعور بالعور: ١٣٨.

(٥) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٢٩ - ٣٠.

(٦) ينظر: الجواهر المضيئة: القرشي: ٢٢٥/٢؛ الأعلام: الزركلي: ٢٢٢/٨.

(٧) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٥٩ - ٦٠.

تمامًا؛ فخورزم لم تَدِنْ في أي حقبة من تاريخها بهذا المذهب، بل إننا نجد الرحالة أحمد بن فضلان يقول عن إحدى قُرَاهَا التي زارها سنة ٣٠٩هـ: «وبها قرية على يوم يقال لها (أردكو)، أهلها يقال لهم (الكردلية)؛ كلامهم أشبه شيء بنقيق الضفادع، وهم يتبرأون من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رض) في دبر كل صلاة»^(١).

كان أهل خوارزم حنفيّة، كما يقول ياقوت الحمويّ عن (خيوق) إحدى بلدانها: «بلدٌ من نواحي خوارزم وحصنٌ بينهما نحو خمسة عشر فرسخًا؛ وأهل خوارزم يقولون (خيوه) ويُنسبون إليه الخيوقيّ، وأهلها شافعيّة، دون جميع بلاد خوارزم فإنّهم حنفيّة»^(٢)، وكان ياقوت الحمويّ في تلك الأصقاع عندما بدأ الزحف المغوليّ بقيادة چنگيز خان.

مغامر لا تحدّه حدود

ينقل ياقوت الحمويّ عن علاء الدين محمد خوارزم شاه - وهو معاصر له - أنّه بعد أن قضى على ملوك البقاع المجاورة لدولته، ولم يبقَ هناك من يدافع عن بلدانهم ومدنهم قام هو باتّباع سياسة الأرض المحروقة، فأمر عساكره أن يدمروا تلك المدن التي كان أغلب سكّانها مسلمين وينهبوها^(٣).

ويقول ابن الأثير وهو معاصر له أيضًا: «إنّ خوارزم شاه محمدًا كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وأفناهم وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعها؛ فلمّا انهزم منهم (من

(١) رسالة ابن فضلان: ابن فضلان: ٨٢؛ معجم البلدان: ٤٨٤/٢، إذ نقل ياقوت من ابن فضلان النصّ المذكور أنّما لكّنه نسب إلى أهل خوارزم أنفسهم أنهم يتبرأون من الإمام عليّ عليه السلام. ونعتقد أنّ قرية (أردكو) المذكورة هنا هي أردخيوه التي في كتاب (أحسن التقاسيم) للمقدسيّ، ٢٨٨، ٣٤٤، بينها وبين فاراب مرحلتان.

(٢) معجم البلدان: ٥١٢/٢؛ ينظر عن جامع الشافعيّة ومكتبتها في المدينة على عهد محمد خوارزم شاه: نزهة المقلتين: ١٠٢.

(٣) معجم البلدان: ٢٤٩/١ - ٢٥٠. يقول بارتولد - مستندًا إلى تشان تشون - أنّه في بداية القرن ١٣م كانت المناطق التي يغلب عليها العنصر المسلم بين سكّانها تبدأ إلى الغرب من بلاد الأويغور مباشرةً (بارتولد، تركستان من الفتح العربيّ إلى الغزو المغوليّ، ٥٢٠)، بلاد الأويغور هي دولة تركستان الشريقيّة التي تحتلّها الصين الشيوعيّة الآن وترتكب بحقّ شعبها أشنع الجرائم.

(المغول) لم يبق في البلاد من يمنعهم ولا من يحميها»^(١).

ويقول رشيد الدين إنه كان يحكم «في خوارزم وعراق العجم وخراسان وغزنة، وذلك أن جميع سلاطين تلك البلدان كانوا قد ضعفوا فأصبح هو الملك المطلق وبلغ شأنه قمة العظمة فضمَّ إلى حكمه بعض بلدان تركستان وما وراء النهر»^(٢).

إنَّ تعاضم قوَّة محمد خوارزم شاه حتَّى بلغ عدد الجند المسجَّلين في قوائم ديوانه ٤٠٠٠٠٠ جندي^(٣)، حده على أن يمتلئ بالغرور وأوهام الهيمنة المطلقة، وأن يطمح إلى الاستيلاء حتَّى على بغداد وأن يحكمها كما حكمها السلاجقة من قبله؛ أي أن يكون للخليفة العبَّاسيَّ الاسم فقط، في حين يكون الحكم الفعليَّ بيده؛ فبعد أن أخفقت الاتِّصالات التي أجراها مع الخليفة العبَّاسيَّ في إقناعه بأنَّ يسلم زمام الخلافة الفعليَّ لخوارزم شاه ويكتفي هو بأنَّ يُذكر اسمه في خطبة صلاة الجمعة وأنَّ يُشار إليه أنَّه الخليفة، قَصَدَ بغداد سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م «وسيرَ أمامه من العساكر ما غصَّت به البيداء، وضاحت عن ضمِّها الفلاة»^(٤).

إنَّ أفضل وصفٍ لسيكولوجيته وسيكولوجيات أفراد جيشه هو قول المؤرِّخ النابه الموفِّق عبد اللطيف البغداديَّ: «كان السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش سارقاً هجَّاماً، وكان عسكريه أوشاباً»^(٥) ليس لهم ديوان ولا إقطاع، وأكثرهم أتراكٌ كُفارٌ أو مسلمون جهَّالٌ، لا يعرف تعبئة العسكر في المصافِّ^(٦)، ولم يتعوَّد أصحابه إلاَّ المهاجمة، وليس لهم زرد ولا دروع، وقتالهم بالنُّشاب، وكان يقتل بعض القبيلة ويستخدم باقيها وفي قلوبهم الضغائن،

(١) ابن الكامل في التاريخ: الأثير: ٣٦١/١٢.

(٢) جامع التواريخ: رشيد الدين: ٣٤٠/١.

(٣) ينظر سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ١٤.

(٤) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٢٥.

(٥) الأوشاب من الناس: أخلاطهم وأوباشهم.

(٦) المصاف: من صفِّ القوم إذا ربَّتهم صفوفاً استعداداً للحرب وغيرها، حيث نقرأ في (لباب الأنساب للبيهقي: ٣٩٧/١، ٤٢٤): «قتل في المصافِّ بكربلاء»، و«قتله أصحاب القلاع في المصافِّ».

ولم يكن فيه شيءٌ من المداراة لا لأصحابه ولا لأعدائه»^(١)، ومع ذلك فإنَّ معظم أفراد العساكر الخوارزمية كانوا من التُّرك القفجاق^(٢).

وقد عزَّز تحرُّكه نحو بغداد بعمل سحريِّ أقنعه به عالمُ البلاغة المعروف أبو يعقوب السَّكَّكي؛ إذ صَنَعَ له تمثالاً وطلب منه أن يدفنه ببغداد لدى ذهابه إليها وعندها سيتحقَّق مراده بالاستيلاء عليها، وقد فعَلَ السلطان ما أمره به فدَفَنَه في موضعٍ هناك^(٣)، فدَلَّ بذلك على عمق إيمانه بالخرافات وهو مُقَدِّمٌ على ذلك العمل الخطير.

وصل السلطان بجيشه إلى أسد آباد على الطريق المتَّجه إلى بغداد، ومن هناك راسل الخليفة الناصر لدين الله يطالبه بالتنازل عن العرش وإفساح المجال لذلك السيِّد العلويِّ ليصبح خليفة؛ وفسلت المفاوضات بين الرجلين، وفي أثناء ذلك نزل ثلجٌ كثيفٌ وبرَّد في همذان وما حولها واستمرَّ لثلاثة أيام بلياليها، ممَّا أدَّى إلى هلاك أعدادٍ ضخمةٍ من جيشه وخيولهم ودوابهم كما يقول المنشي النَّسويُّ الذي يصف هذا المشهد بقوله: «عظُم إذ ذاك البلاء، وأعْضَلَ الداء، وصارت الأرض كأنها ببياضها سوداء، وشمل الهلاك خلقاً كثيراً من الرجال، ولم ينجُ شيءٌ من الجمال، وتلفت أيدي رجال وأرجل آخرين»^(٤)؛ ورجع السلطان عن وجهه ذلك على خيبةٍ ممَّا همَّ به ويأسٍ مطلبه...، ونِدِم السلطان على ما ارتكبه...»^(٥)، فقرَّر العودة مع من بقي من جيشه إلى بلاده.

أمَّا الخليفة الناصر لدين الله فكان ردَّ فعله أن أرسل إلى غياث الدين ملك الغور وغزنة يأمره أن يقصد بجيشه بلاد خوارزم شاه ليعود عن قصد العراق^(٦).

(١) تاريخ الإسلام: الذهبي: ٣٠٠/١٣.

(٢) ينظر أطلس الإسلام: مؤنس: ٢٤٠.

(٣) قصَّة هذا السحر في كتاب (سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ١٧٥ - ١٧٦)، والسَّكَّكي هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمَّد الحنفي (٥٥٥ - ٦٢٦هـ).

(٤) إنَّ هذا يعني حدوث حالات من الغنغرينا تستدعي بتر الأرجل والأيدي.

(٥) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٢٥ - ٢٦. أسد آباد: جزء من مدينة همذان الإيرانية (معين، فرهنگ فارسي: معين).

(٦) ينظر الكامل في التاريخ: ١٣٥/١٢.

چنگيز خان ومحمد خوارزم شاه

عقب انتصاره على مجاوريه أبناء عمومته من القبائل المغوليّة النايمان والكرائيت، وأخيراً عودته منتصراً من معركته مع مملكة الصين، فضلاً عن توحيده أشهر تلك القبائل وهم التتار تحت لوائه^(١)، أحسَّ چنگيز خان بالعظمة الحقيقيّة وهو يرى تلك البقاع الشاسعة الواقعة بين شمالي الصين وتركستان الشرقيّة^(٢) تدين له بالطاعة.

ومن نتائج هذه الفتوحات أن أصبحت الدولة الخوارزميّة مجاورةً لبلاد هذا الزعيم المغوليّ الواثق بقوّته، وكانت مدينة أترار الحدّ الفاصل بين بلادي هذين الحاكمين^(٣)، وكان بإمكان الأمور أن تسير بشكل طبيعيّ وخصوصاً أنّ چنگيز خان لم يكن ينوي التحرش بالخوارزميّة، وهو ما دلّنا عليه استقراء مجريات الأمور استناداً إلى التواريخ المعاصرة لتلك الحقبة وما فيها من نصوص سنورد بعضها.

تُرى ما الذي حدث لتُفتح أبواب الجحيم بهذا الشكل المرؤّع وتنتلق منه هذه المخلوقات التي تُوجب عليهم الشريعة الجنكيزيّة لدى مقاتلتهم أعداءهم أن «يبارزوهم مبارزة الوحوش دون هواده»^(٤).

علينا أن نبحث عن السبب المباشر لذلك الاجتياح المدمّر؛ وإنّ الكلام عن الغزو المغوليّ بدءاً من تحرك الجيوش المغوليّة ومهاجمتها المدن الإسلاميّة من غير ذكر الواقعة التي سنوردها الآن، يجعل البحث عقيماً، فلننظر ماذا على الجانب الآخر وفي سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م على وجه التحديد.

(١) يُقدّم رشيد الدين في كتابه (جامع التواريخ: ٢٢٠/١ - ٢٢١) تفاصيل وافية عن القبائل المغوليّة التي ناصبت العداء لچنگيز خان الذي حاربها وقهرها.

(٢) تشكّل اليوم المنطقة الجنوبيّة من سيبيريا ومنغوليا، (ينظر چنگيز خان: ٤٧).

(٣) ينظر جامع التواريخ: ٢٢١/١.

(٤) تاريخ الزمان: ابن العبري: ٢٣٨، وشريعة جنكيز هي القوانين المعروفة باسم (الياسا) التي سنّها لهم وأمّره بتطبيقها حرفياً. هذه القوانين التي «أدّت دوراً مهماً في حياة الإمبراطوريّة التي أنشأها جنكيز خان وطُبقت بصرامة وقسوة» (جنكيز خان: فلاديميرتسوف: ١١٢).

أفاق التعاون التجاري والسلام

عند عودة السلطان محمد خوارزم شاه من حملته الفاشلة على العاصمة بغداد إلى مقرّه في بلاد ما وراء النهر، وصل إليه رُسُل چنگيز خان في ربيع سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م^(١) يحملون هداياه إليه مع رسالة «تشتمل على طلب المسالمة والموادعة وسلوك مسلك المجاملة، وقالوا إن القآن الكبير (چنگيز خان) يُسَلِّم عليك ويقول: ليس يخفى عليّ عظيم شأنك وما بلغت من سلطانك ونفاذ حكمك في أكثر أقاليم الأرض، وأنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات، وأنت عندي مثل أعزّ أولادي، وغير خافٍ عليك أيضًا أنني ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك، وقد أذعنْتُ لي قبائلهم، وأنت أخبرُ الناس بأنّ بلادي ماثراتُ العساكر ومعادن الفضة وأنّ فيها لغنيّة عن طلب غيرها، فإن رأيت أن تفتح للتجار في الجهتين سبيل التودّد، عمّت المنافع وشملت الفوائد.

فأحضر السلطان أحد أعضاء الوفد التجاريّ وهو محمود الخوارزمي - بعد سماعه الرسالة - ليلاً دون سائر الرُسُل وقال له: إنَّك رجلٌ خوارزمي، ولا بدّ لك من موالاتنا فينا وميل، ووعده بالإحسان إن صدّقه فيما يسأله، وأعطاه من معضدته جوهرة نفيسة علامةً للوفاء بما وعده، وشرط أن يكون عيناً له على چنگيز خان فأجابه إلى ما سأل رغبةً أو رهبةً، ثمّ قال: أصدقني فيما يقول چنگيز خان: إنّه ملك الصين واستولى على مدينة طمغاج، أصادقُ فيما يقول أم كاذب؟ فقال: بل صادق، وهذا الأمر المُعظّم ليس يخفى حاله، وعن قريب يتحقّق السلطان ذلك، فقال: أنت تعرف ممالكي وبسطتها، وعساكري وكثرتها، فمن هذا اللعين حتّى يخاطبني بالولد؟ ما مقدار ما معه من العساكر؟ فلمّا شاهد محمود الخوارزمي آثار الغيظ وتبدّل لطف الكلام بالخصام، أعرّض عن النصح ومال إلى الاسترحام؛ استخلاصاً من أنياب الجَمَام وقال: ليس عسكره بالنسبة على هذه الأمم والجيش العرمم إلّا كفارس في خيل، أو دخان في جنح ليل ثمّ أجاب السلطان إلى ما التمس چنگيز خان من أمر المهادنة، فسّر چنگيز خان بذلك؛ واستمرّ الحال على المسالمة^(٢)، أي إنّ خوارزم شاه قد

(١) ينظر تركستان من الفتح العربيّ إلى الغزو المغوليّ: ٥٦٧.

(٢) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٤١ - ٤٢.

كذب على چنګيز خان حين كتب إليه أنه راغب في السلام أيضاً.

كان يمكن لحالة السلام هذه أن تستمرَّ خصوصاً وأنَّ ازدهار التجارة كان سيشكّل عاملاً مهماً يدفع التجار المتلهّفين لجني الأرباح على جانبي الحدود بين المملكتين الچنګيز خانيّة والخوارزم شاهيّة إلى تشجيع كلّ ما من شأنه أن يُديم حالة السلام التي قامت آنذاك بمبادرةٍ من چنګيز خان الذي بحسب رواية رشيد الدين كان قد خاطب خوارزم شاه بعبارة «أنتَ وكلُّ فردٍ من المسلمين عزيزٌ لديّ كواحدٍ من أولادي»^(١).

لقد تصرّف چنګيز خان بصدق وبراماتيّة وانفتاح على خوارزم شاه الذي تصرّف بعقليّة التأمّر والجاسوسيّة، فاختلى بأحد أعضاء الوفد - كما رأينا - وطلب منه أن يكون جاسوساً على چنګيز خان، وهو أمر يستحيل صدوره من الرجل؛ لأنّه كان مؤتمناً من قبل چنګيز خان، وأنَّ موافقته لما طلبه خوارزم شاه كان خوفاً منه، إذ كان وزملاؤه قادمين في مهمّة سلام، ونُدّكر هنا بأنَّ المسلمين العاملين في المجتمع الچنګيز خانيّ - وكان أغلبهم من الأتراك الأويغور - هم أصحاب تقاليد عريقة بالأمانة؛ ممّا دعا چنګيز خان وكبار العاملين معه إلى الوثوق بهم ثقة عالية، و«إنَّ الإداريِّين في تشكيلات المغول والكوادر الحكوميّة من ذوي العقول والعلم كانوا هم الأتراك المسلمين والويغور غير المسلمين»^(٢)، وقبائل خطاي، ورجال تانغوت، وأناس من منطقة منشوريا كلّهم أتراك وقبائل تركيّة»^(٣).

هل كان جنكيز صادقاً في إقامة السلام؟

يطرح الباحث جون مان السؤال الآتي: «هل كان من المرجح فعلاً أن يتحوّل أمير حرب دمويّ مثل چنګيز فجأةً إلى حالة السلام؟»، ثمَّ يتولّى هو الإجابة بالقول: «وما حدث فعلاً، ربّما كان الجواب نعم إلى حدٍّ بعيدٍ؛ وذلك لأنَّ شمال الصين لم تكن قد فُتحت بعد، ولن تُفتح على مدار عشرين سنة أخرى؛ لكنَّ ردَّ الشاه محمّد [خوارزم شاه] كان مثلاً للحماقة»^(٤)؛ الصفات الخمس التي تتمثّل في: الضعف، والسذاجة، والجهل، والخوف من

(١) جامع التواريخ: ٣٤٣/١.

(٢) الويغور هم الأويغور، وكان بعضهم قد اعتنق الإسلام قبل هذا التاريخ بكثير.

(٣) تاريخ تركستان الشرقية: بوغرا: ٣٦٠.

(٤) يقصد جوابه على رسالة توشي نجل چنګيز خان التي أبدى فيها منتهى الاحترام للسلطان وقال له

الأجانب، وكرههم، والخطرسة)؛ ثُمَّ يُعَلَّلُ ذلك بالقول: «ما زال جنكيز مُصْرًا على أَنْ هدفه كان التجارة؛ وذلك لِأَنَّ الحرب هنا ستعني توسُّعًا آخر لإمبراطورية المغول وحملة عسكرية أخرى وحدودًا أوسع أيضًا للدفاع عنها وربما - مَنْ يدري؟ - الهزيمة»^(١).

ومع ذلك استمرت حالة المواجهة والمسالمة بين الدولتين، ففي أواخر عهد چنگيز خان، كان الهدوء وراحته البال والأمن والدَّعة قد بلغ النهاية، والتمتعُّ والرفاهية الغاية، وأصبحت الطرق آمنة، والفتن ساكنة؛ بحيث لو لآح في نهاية المغرب وبداية المشرق نفع وريحٌ بادر التجار إلى التوجُّه نحوه، ولمَّا لم يكن للمغول موضعٌ معيَّن في أيِّ مدينة، ولم يكن للتجار والوافدين تردُّد إليهم، ارتفعت لديهم أسعار الملابس والمفروش، وكانت أرباح المتاجرة معهم قد ذاع صيتها.

ثمَّ إنَّ ثلاثة من التجار من المقيمين في مملكة خوارزم شاه اتَّفقوا سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م^(٢) على الذهاب إلى بلاد المشرق، وأخذوا معهم أحمالًا من البضائع من الثياب المذهبة والكرباس والزندنجي^(٣) وكلِّ ما هو نفيس، واتَّجهوا إلى هناك حيث چنگيز خان الذي اشترى منهم بضاعتهم في قصَّةٍ طويلةٍ لسنا بصدد إيرادها.

عرس اقتصادي

وحين حان وقت عودتهم، وبغية أن يفتح چنگيز خان آفاقًا جديدةً للتعاون التجاري بين الدولتين المغوليَّة والخوارزمية، أصدر چنگيز خان أمره إلى أبناء الأسرة المالكة المغوليَّة من نساءٍ ورجالٍ وشبان، وإلى الأمراء والقادة^(٤) «أن يختار كلُّ واحدٍ منهم اثنين أو ثلاثة

فيها: إنَّ أباه نهاه عن التعرُّض لجيشه. وقد نقلنا آنفًا جواب السلطان المتغرس.

(١) الحياة والموت والانبعاث: مان: ١٦٥ - ١٦٦.

(٢) تاريخ مختصر الدول: ابن العبري: ٣٩٩.

(٣) نوع من النسيج الفاخر يُنسب إلى قرية زندنه من أعمال بخارى «وهي على أربعة فراسخ من البلد» (معجم البلدان: ٩٥٢/٢).

(٤) جاء في كتاب (جامع التواريخ: ٣٤٢/١) «فأرسل إلى الخواتين والأمراء والقادة بأن يبعث كلُّ واحدٍ منهم اثنين أو ثلاثة من حاشيته ويحملونهم مثاقيل الذهب والفضة ليذهبوا مع الرُّسل إلى ولايات

من أكثر أتباعه لياقةً ويَحْمَلُهُ رأسَ مالٍ لهم من بالِشَات^(١) الذهب والفضة ليرافقوا أولئك التجَّار الثلاثة إلى بلاد السلطان (محمَّد)، ويتاجروا هناك بما يمكنهم من الحصول على التحف والنفائس، فأطاع الجميع ذلك الأمر واجتمع ٤٥٠ مسلماً؛ ثمَّ إنَّ چنگيز خان كتب إلى السلطان خوارزم شاه رسالةً يقول فيها: «لقد ورد عليَّ من بلدكم تجاراً، وقد أعدتُّهم على الهيئة التي ستعلم بها^(٢)، وبدورنا أرسلنا برفقتهم جماعةً إلى تلك الديار ليشترؤا تحفًا منها، ومن الآن فصاعدًا وبسبب إصلاح ذات البين، ووفاق الجانبين؛ سيُقطع دابر البواعث على تكدير الخواطر، ويزول كلُّ ما من شأنه تغذية الفساد والعناد»^(٣).

نشير إلى أنَّ المؤرِّخ ابن العبريِّ يذكر أنَّ عدد التجَّار الذين أوفدهم جنكيز إلى بلاد خوارزم شاه كان «مئة وخمسين تاجرًا من مسلم ونصراني وتركي»، والحقيقة هي أنَّ كلمة «أربع» التي تسبق كلمة «مئة» قد سقطت من النسخ؛ دليل أنَّ ابن العبريِّ نفسه يقول في مؤلِّفه الآخر (تاريخ الزمان) إنَّ عددهم كان «زهاء أربع مئة تاجر»^(٤). وتدعم ذلك روايتهُ به لو تشو تشاي^(٥) وهو أحد كبار مرافقي چنگيز خان في حملاته التي يقول فيها: «إنَّ أمير هذه المدينة (أترار)، أصدر أمرًا بقتل مبعوثي چنگيز خان مع عدَّة مئات من التجَّار الذين كانوا معهم، ثمَّ استولى على الأموال والبضائع التي كانت معهم»^(٦).

السلطان (محمَّد)؛ لغرض المتاجرة وجلب التحف والأشياء النادرة من هناك». الخواتين لقب للاحترام تُلقَّب به الأميرات المغوليَّات. ينظر تاريخ مختصر الدول: ٤٠٠، تاريخ الزمان: ٢٤٠.

(١) جمع بالِش: وحدة وزنية تعادل ٥٠٠ مثقال من الذهب أو الفضة (تاريخ جهانگشاي: ١٦/١؛ شرح مشكلات ...: خاتمي: ٩١).

(٢) يعني أنه أعادهم معززين مكرمين.

(٣) تاريخ جهانگشاي: ٥٨/١ - ٦٠، ونُشير هنا إلى أنَّ رسالة چنگيز خان إلى محمَّد خوارزم شاه حُدِّثت من الترجمة التي أنجزها الدكتور محمَّد التونجيِّ لكتاب الجوينيِّ هذا وطبعه تحت عنوان (تاريخ فاتح العالم)، مع أنَّها مهمة جدًّا؛ ويبدو أنَّ السبب هو سهو القلم.

(٤) تاريخ مختصر الدول: ٤٠٠، تاريخ الزمان: ٢٤٠.

(٥) كتب رحلته إلى البلاد الواقعة غربيَّ منغوليا تحت عنوان (سي يو لو)، وترجمتها: رحلة إلى الغرب. (ينظر إيران وما وراء النهر: برتشنايدر: ٣٩ وما بعدها).

(٦) إيران وما وراء النهر: ٤٩.

نحن إذن بين يدي عملية تدشين مشروع اقتصادي هو من وجهة نظر چنگيز خان أفضل وسيلة يستثمر فيها هو وأفراد أسرته وقادته وأمرأه ما استلبوه من غنائم خلال فتح الصين، بدل أن تطلّ ثروات مكدّسة في الصناديق.

قطع التجار القادمون من بلاد چنگيز خان عدّة أسابيع عبر الأراضي العشبيّة لمسافة ٢٧٠٠ كم^(١)، ليصلوا سنة ٦١٥هـ/١٢١٧م، إلى مدينة أترار (Otrar)، المسرح الذي ستتمّ على أرضه الواقعة المهولة، وتقع على ضفة نهر سيحون الشرقيّة التي كانت تُعرف قديماً باسم (فاراب) أو (باراب)^(٢)، قال عنها ياقوت: إنّها «مدينة حصينة وولاية واسعة في أوّل حدود الترك بما وراء النهر على نهر سيحون قرب فاراب»^(٣)، قال برتشنايدر عن سعتها إنّها: «أكثر من عشر مدن متّصلة ببعضها»^(٤)، وهي على الحدود بين المملكتين المغوليّة والخوارزم شاهيّة. وحدّد جون مان موقعها بدقة أكبر فقال: «واليوم تُسمى Otyrar، في أقصى غرب كازاخستان الحديثة، ولم يتبقّ منها سوى القليل من الروابي المعشوشبة والأنقاض المبعثرة؛ وفي أوائل القرن الثالث عشر كانت عبارة عن مدينة حدوديّة مزدهرة تغطّي مساحة عشرين هكتاراً»^(٥).

وبعد اطلاع أمير المدينة ينال خان (ينال جُق) الذي كان أحد أقارب والدة السلطان ترّكان خاتون وهي التي لقبته (غاير خان)^(٦)، على ما لديهم من أموال هائلة «طمع في الأموال التي يحملونها، ثمّ ألقى عليهم القبض جميعاً وأرسل رسولاً إلى السلطان محمّد خوارزم شاه الذي كان آنذاك في العراق^(٧) يُعلّمه بخبرهم، فأصدر السلطان - ومن غير

(١) ينظر چنگيز خان، الحياة والموت والانبعاث: مان: ١٦٦.

(٢) ينظر بلدان الخلافة الشرقيّة: ٥٢٨.

(٣) ينظر معجم البلدان: ٣١٠/١.

(٤) إيران وما وراء النهر: ٤٩.

(٥) چنگيز خان، الحياة والموت والانبعاث: ١٦٦.

(٦) في كتاب (جامع التواريخ: ٢٢١/١): «ينالجوق الذي يقال له أيضاً غاير خان وهو خال السلطان».

(٧) العراق: المعنيّ به هنا هو ما كان يُعرف بـ(عراق العجم) ويضمّ مدن أراك كرمانشاه، وهمدان، وملاير، وكلبايكان، وأصفهان (ينظر فرهنك فارسي، مادّة عراق العجم)، تمييزاً له عن عراقنا

أن يفكر بعواقب الأمور - أمره بإباحة دمائهم واستحلال أموالهم»^(١)، وواضح من الخبر أن السلطان كان ما يزال في طريق العودة من غزوته الفاشلة لعاصمة الخلافة.

أما رواية النَّسَوِيِّ مؤرِّخ البلاط الخوارزم شاهي فتقول: إنَّ حاكم أترار الذي كان لديه عشرون ألف فارس ينوب عن السلطان بها، ادَّعى أنَّ أولئك التجار الأربع مئة وخمسين كانوا جواسيس لچنگيز خان؛ وقد كَذَّب على سيده السلطان محمَّد وكتب إليه معلومات مغلوطة بغية أن يستولي على أموال أولئك التجار: «فشرهت نفسه الدَّنيَّة إلى أموال أولئك وكاتب السلطان مكاتبه خائن مائن^(٢) يقول: إنَّ هؤلاء القوم قد جاؤوا إلى أترار في زي التجار، وليسوا بتجار بل أصحاب أخبار يكشفون منها ما ليس من وظائفهم»^(٣)، فمن وجهة نظر هذه الرواية فإنَّ الذنب في هذه الجريمة يقع بتمامه على عاتق حاكم أترار الذي خان الأمانة بادِّعائه الكاذب الذي أدَّى إلى أن يصدر السلطان أمره بقتلهم.

إنَّه نصُّ واضحٌ من النَّسَوِيِّ في نفي احتمال أن يكون أولئك التجار جواسيس، فالنَّسَوِيُّ يقول إنَّ حاكم أترار كان خائناً للأمانة كاذباً حين أخبر سلطانه محمَّداً بأنَّ أولئك التجار كانوا جواسيس، وإنَّما كان طامعاً بأموالهم.

لكنَّ قول النَّسَوِيِّ هذه الحقيقة التي لا بدَّ أنه أخذها من أوساط الأسرة الخوارزمية، لم يمنعه من تعديل العبارة - وربَّما قيلت له بهذا الشكل الذي صاغها عليه - ونعني بذلك قوله: «وتفرَّد المذكور (حاكم أترار) بتلك الأموال المُعدَّة»؛ أي إنَّه صادرها لنفسه، ولم يذكر موقف السلطان محمَّد خوارزم شاه منها، ربَّما لأنَّه لم يُرد إحراج نفسه بها

المعروف الذي يُسمى في الأدبيات الإيرانية أحياناً باسم عراق العرب.

(١) تاريخ جهانگشاي: ٦١/١.

(٢) ورد في (لسان العرب): «مَنْ يَمِينٌ مَيْنًا: كَذِبٌ، فهو مائن أي كاذب».

(٣) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٤١ - ٤٢؛ وينظر نزهة المقلَّتين في سيرة الدولتين: ٧٨. أصحاب أخبار: قال دوزي: «صاحب الخبر أو صاحب الأخبار: اسم كان يُطلق على موظف يُقيمه السلطان في عواصم الولايات، ووظيفته إخبار السلطان بكل الأخبار مهما كانت أهميتها، وأنَّ يعلم بالغرباء الذين يصلون إليها وغير ذلك؛ وكان يقوم بهذه الوظيفة في أغلب الأحيان صاحب البريد» (تكملة المعاجم العربيَّة: ١٣/٤). وهي هنا تدل على أنه اتهم هؤلاء التجار بكونهم جواسيس.

لكونه موظفًا في البلاط الخوارزمي، لكنَّ مؤرِّخين آخرين ذكروا أنَّ حاكم أترار أرسل تلك الأموال المُصادرة إلى السلطان محمد خوارزم شاه الذي بادر إلى بيعها وقَبَضَ أثمانها، وفي مقدِّمة هؤلاء المؤرِّخ ابن الأثير الذي شهد له النَّسَوِيُّ نفسه بالدقَّة وأثنى عليه^(١)، الذي قال: «فلَمَّا وردت عليه (على حاكم أترار) هذه الطائفة من التتر أرسل إلى خوارزم شاه يُعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الأموال، فبعث إليه خوارزم شاه يأمر بقتلهم وأخذ ما معهم من الأموال وإنفاذه إليه، فقتلهم وسيَّر ما معهم وكان شيئًا كثيرًا، فلَمَّا وصل إلى خوارزم شاه فرَّقَه على تجار بخارى وسمرقند وأخذ ثمنه منهم»^(٢).

بل إنَّ ابن نضيف الحمويِّ المؤرِّخ المعاصر، ذكر أنَّ البضائع التي جاء بها أولئك التجار كانت محمولةً على ١٥٠ فرسًا^(٣)، وأنَّ السلطانَ محمدًا خوارزم شاه قدَّم خطَّةً مكررةً للكيفية التي يستولي بها والي أترار على أموالهم؛ تقضي بأنَّ يجهَّزهم بما يحتاجونه ثمَّ يطلب إليهم العودة إلى بلادهم، وبعد أن يسيروا يومين أو ثلاثة أيام في الطريق يبعث بصورة سرِّيَّة أشخاصًا من قبَله يقتلونهم وينهبون ما لديهم، ويبدو الأمر عندها وكأنَّ لصوصًا أغاروا عليهم في الطريق، فلا تقع عندها أيَّة مسؤوليةٍ على حاكم أترار ولا على السلطان محمد خوارزم شاه، فنقذ هذا ما أمره به السلطان وقتلهم جميعًا إلَّا واحدًا؛ تركه ليذهب ويخبر چنگيز خان بما حدث.

ردُّ فعل چنگيز خان على الواقعة

في ردِّه على قتل أولئك التجار المسلمين لم يبادر چنگيز خان إلى القيام بأي ردِّ فعلٍ متسرِّع - ربَّما لمعرفته بكثرة أعداد جند السلطان محمد خوارزم شاه - بل قدَّم غصنَ

(١) ينظر سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٢، قال فيه: «وجدته لم يفتنه من معظِّمات الأمور جليل، ولم يتجاوز الصَّحَّة إلَّا قليل؛ قلتُ: لله دَرُّ مُقيمٍ بأرض الشام، دَعَتْه هِمَّتُهُ إلى ضبط ما حدث من الوقائع بأعالي بلاد الصين وأعماق بلاد الهند».

(٢) الكامل في التاريخ: ٣٦١/١٢ - ٣٦٢، وتتفق روايتا ابن أبي الحديد (شرح نهج البلاغة، ٢٢١/٨) وابن واصل (مفرج الكرب: ٣٨/٤)، مع رواية ابن الأثير بهذا الشأن.

(٣) ينظر التاريخ المنصوري: ابن نضيف الحموي: ٨٢.

زيتونٍ أخيراً لتسوية الخلاف^(١)، وأرسل وفداً إليه يسأله: هل كان تصرف حاكم أترار عن علمه أم لا؟.

يواصل النَّسويُّ روايته فيقول: «ثُمَّ وَرَدَ بَعْدَ ذَلِكَ ابْنُ كَفْرَجِ بَغْرَا^(٢)، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَمْرَاءِ السُّلْطَانِ تَكَّشَ، مَصْحُوبًا بِشَخْصِينَ مِنَ التَّاتَارِ رُسُلًا مِنْ قِبَلِ چَنْغِيْزِ خَانَ فِي أَنْكَ أُعْطِيَتْ خَطِّكَ وَيَدَكَ بِالْأَمَانِ لِلتَّجَارِ وَأَلَّا تَتَعَرَّضَ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَغَدَرْتَ وَنَكَيْتَ وَالغَدْرُ قَبِيحٌ، وَمِنْ سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ أَقْبَحَ، فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ الَّذِي ارْتَكَبَهُ يِنَالُ خَانَ كَانَ مِنْ غَيْرِ أَمْرِ صَدَرَ مِنْكَ، فَسَلِّمْ يِنَالَ خَانَ إِلَيَّ لِأَجَازِيهِ عَلَى مَا فَعَلْتَ؛ حَقًّا لِلدَّمَاءِ، وَتَسْكِينًا لِلدَّهْمَاءِ، وَإِلَّا فَأَذَنْ بِحَرْبٍ تَرْخَصُ فِيهَا غَوَالِي الْأَرْوَاحِ، وَتَتَقَصَّدُ مَعَهَا عَوَالِي الرِّمَاحِ»^(٣). وَفِي قَوْلِهِ: «إِنَّكَ أُعْطِيَتْ خَطِّكَ وَيَدَكَ بِالْأَمَانِ لِلتَّجَارِ وَأَلَّا تَتَعَرَّضَ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَغَدَرْتَ وَنَكَيْتَ»، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ چَنْغِيْزِ خَانَ كَانَ قَدْ أَخَذَ مَوْثِقًا مَكْتُوبًا مِنَ السُّلْطَانِ خَوَارِزْمِ شَاهٍ أَيْ بِصُورَةٍ تَحْرِيْرِيَّةٍ عَلَى السَّمَاحِ لِتِلْكَ الْقَافِلَةِ بِالْمَرُورِ بِأَمَانٍ فِي بِلَادِهِ وَضَمَانِ سَلَامَةِ التَّجَارِ الْقَادِمِينَ مِنْ بِلَادِ چَنْغِيْزِ خَانَ وَعَدَمِ التَّعَرُّضِ بِسُوءِ لَهْمِ.

ويوجد في الترجمة الفارسية لكتاب النَّسويِّ كلام لچنګيْزِ خان أنه قال في آخر هذه الرسالة مخاطبًا السلطان: «إِنْ قَلْتِ إِنَّ يِنَالَ خَانَ تَصَرَّفَ مِنْ غَيْرِ إِذْنِكَ وَعَلِمْتَ، فَسَلِّمِي لِي لِيْنَالِ جِزَاءَ فَعَلْتِهِ وَلِكِي لِأَتْرَاقِ بَعْدَ الْيَوْمِ دَمَاءِ الْخَلْقِ، وَتَنْعَمِ الْبِلَادُ وَالْعِبَادُ بِالْهَدْوِ وَالِاسْتِقْرَارِ»^(٤)، وَفِي هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى مَنْتَهَى الْإِنْضِبَاطِ وَعَدَمِ التَّهَوُّرِ لَدَى چَنْغِيْزِ خَانَ وَأَنَّه كَانَ يَعْالِجُ الْمَشْكَلَةَ بِصَبْرِ وَرُويَّةٍ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ كَثْرَةَ جُنُودِ السُّلْطَانِ وَسَعَةَ بِلَادِهِ مِمَّا سَيَجْعَلُ كَلْفَةَ آيَةِ حَرْبٍ مَحْتَمَلَةٍ بَاهِضَةً لِلْغَايَةِ.

(١) كما يقول جون مان في كتابه چنګيْزِ خان، الحياة والموت والانبعث: ١٦٧.

(٢) لم يذكر النَّسويُّ اسمَ والد هذا المبعوث الذي كان مسلمًا، لكي لا يُوجَّهَ لَوْمٌ آخِرٌ إِلَى السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ خَوَارِزْمِ شَاهٍ لِقَتْلِهِ رَسُولًا مُسْلِمًا فَضْلًا عَنْ قَتْلِهِ التَّجَارِ.

(٣) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٤١ - ٤٣؛ وينظر: زهبة المقلتين: ٧٨ - ٧٩؛ تاريخ الإسلام: ٢٧٥/١٣، وبحسب النَّسويِّ أعلاه فإنَّ خوارزم شاه قَتَلَ الرُّسُلَ الثَّلَاثَةَ: السِّفِيرِ الْمُسْلِمِ وَمُرَافِقِيهِ الْمَغُولِيْنَ. تَتَقَصَّدُ: تَتَكَسَّرُ. قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ: «تَقَصَّدَتِ الرِّمَاحُ تَكَسَّرَتْ» (أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: قَصَدَ).

(٤) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٥٢.

لقد امتنع السلطان عن إرسال ينال خان إلى چنگيز خان لأسباب يذكرها النَّسَوِيُّ: «فأمسك السلطان عن تسيير ينال خان إليه على رعبِ خامرِ قلبه، وخوفِ سلبِ لُبِّه؛ إذ كان لا يمكنه تسييره إليه وأكثرُ العساكرِ ورُتُوت^(١) الأمراء من أقاربه، وهم كانوا طراز حلتته، ووجه رزمته، والمتحكِّمين في دولته، واعتقدَ أنه لو لاطَفَ چنگيز خان في الجواب لم يزدَه ذلك إلا طمعًا فيه. فتماسك وتجلَّد، وأبى وقد خامرَ الرعبُ الخلدَ؛ وأمرَ بقتل أولئك الرُّسل^(٢)، فضلًا عن علمه أنه هو الذي أمر واليه بقتل التجَّار؛ الأمر الآخر هو أن الوالي كان ابن خال السلطان^(٣)، ومن أقارب والدة السلطان المرأة المتسلِّطة الدمويَّة ترَكَان خاتون الحامية والرعاية له، وكان كثير من قيادات الجيش أقاربه، وهذا يعني أن يهبَّ هؤلاء للدفاع عنه، وكما يقول الدكتور الصياد فإن ذلك سيؤدِّي إلى قيام «ثورة عسكرية ضده من جانب رجال الجيش الذين يؤازرون والدته، وربما أدَّى ذلك إلى الإطاحة بعرشه»^(٤).

واستنادًا إلى ابن نضيف الحمويِّ فإنَّ چنگيز خان أرسل رسولًا إلى السلطان محمَّد برسالة قال فيها: «أنت رجلٌ مسلمٌ وما نَقَدْنَا إليك إلا مسلمين موحدين حُجَّاجًا، فكيف جاز لك في دينك ما فعلته من قتلهم وأخذ مالهم؟ والله لا بد لنا منك: إما أنك تُحييهم كما كانوا وتسيِّرهم إلينا، وإلا فنحن واصلون إليك قولًا وفعلاً، فأخذ خوارزم شاه ذلك الرسولَ وقطَّع من سائر أطرافه، وقال له: مالكم عندي إلا هذا الجواب»^(٥)، وهذا يعني أنَّ خوارزم شاه قد مثلَّ بذلك الرسول بأن قطع أجزاء من يديه ورجليه وأعادته إلى چنگيز خان، وإنَّ قول چنگيز خان إنَّه أرسل «مسلمين موحدين حُجَّاجًا»، يدلُّ على أنَّهم كانوا جميعًا من المسلمين؛ ولعلَّ هذا النصُّ هو الذي دعا الباحث جون مان إلى القول إنَّهم كانوا جميعًا

(١) في أساس البلاغة (رَتَّتْ): «من المجاز هو رَتُّ من الرُّتُوت وهو من رُتوت الناس من عليَّتهم وسادتهم».

(٢) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٤١ - ٤٣؛ وينظر: نهضة المقلتين: ٧٨ - ٧٩؛ تاريخ الإسلام: ٢٧٥/١٣.

(٣) ينظر سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٤٢.

(٤) المغول في التاريخ: الصياد: ١٠٥/١.

(٥) التاريخ المنصوري: ٨٢.

من المسلمين باستثناء قائد مغولي^(١).

وللعنجهية والغرور اللذين تلبسا بالسلطان محمد خوارزم شاه فإنه لم يردّ على رسالة چنگيز خان بأيّ شيء ليبيّن له في الأقلّ السبب الذي لأجله قُتِل أولئك التجّار، ولا السبب في عدم تسليمه قاتلهم حاكم أترار إليه - إن كان ارتكب جريمته من غير علم السلطان - بل بادر إلى ارتكاب الجريمة النكراء الثانية بقتله المبعوث المسلم وتمثيله بالمبعوثين التتريين الآخرين؛ بأن حلقّ لحيتهما وأعادهما إلى چنگيز خان^(٢) وحمّلهم إليه رسالة يقول فيها: «إنّ خوارزم شاه يقول لك: أنا سائرٌ إليك ولو أنّك في آخر الدنيا حتّى أنتقم وأفعل بك كما فعلتُ بأصحابك»^(٣). فإنّ صحَّ أنّ خوارزم شاه قد كتب هذه الرسالة حقّاً، فالرجل فقدّ توازنه؛ فعن أيّ انتقام يتحدّث والمعتدي كان هو بقتله التجّار والرُّسل الثلاثة، ثمّ مثل بصورة وحشية بالرسول الأخير وأرسله إلى چنگيز خان متحدّياً؟!

السيكولوجيا تتكلم

سيكولوجياً، فإنّ السلطان علاء الدين خوارزم شاه تصرفَ تصرفاً هستيرياً لا يمكن تفسيره إلّا بالضعف التي كانت تأكل قلبه؛ لكون چنگيز خان قد دمّر حُلّمه الرائع الذي كان يملأ عقله وقلبه؛ حُلّم الاستيلاء على بلاد الصين بما فيها من ثروات وكنوز، حين سبّقه واستولى عليها بل وأرسل جزءاً من غنائمها بيد تجّاره المسلمين لبيعوها في بلاد السلطان محمد خوارزم شاه الذي ربّما رأى ذلك - في قرارة نفسه - تحدياً آخر لحُلّمه بالاستيلاء على الصين ونهب ثرواتها.

مع ذلك لدينا رواية ابن الأثير المؤرّخ الموثوق بشهادة النّسوي مؤرّخ البلاط الخوارزمي، التي تقول: إنّ خوارزم شاه بعد أن أمر بقتل التجّار ونهب أموالهم، أرسل جواسيس إلى بلاد چنگيز خان لجمع معلومات عنه وعن جيشه وكم هو عدد الأتراك الذين كانوا يقاتلون معه

(١) ينظر چنگيز خان، الحياة والموت والانبعاث: ١٦٦.

(٢) ينظر: سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٤١ - ٤٣؛ تاريخ الإسلام: ٢٧٥/١٣، وبحسب النّسويّ أعلاه فإنّ خوارزم شاه قتل الرُّسل الثلاثة: السفير المسلم ومرافقيه المغوليين.

(٣) الكامل في التاريخ: ٣٦٣/١٢.

«فمضى الجواسيس وسلخوا المفازة والجمال التي على طريقهم حتى وصلوا إليه، فعادوا بعد مدة طويلة وأخبروه بكثرة عددهم وأنهم يخرجون عن الإحصاء، وأنهم من أصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة، وأنهم يعملون ما يحتاجون إليه من السلاح بأيديهم. فندم خوارزم شاه على قتل أصحابهم وأخذ أموالهم وحصل عنده فكر زائد»^(١).

فاتح أبواب الجحيم

المأثرة الوحيدة التي سيطر التاريخ يذكرها سَجِيسَ الليالي^(٢) للسلطان العايب الضعيف محمد خوارزم شاه، بعد أن أذهب هباءً كل ما كان أبوه قد أسسه من دولة مترامية الأطراف، وما ضم هو إليها، هو تدميره نظرة الهيبة والاحترام التي كان المغول ينظرون بها إلى المسلمين، وكذلك حالة السلام التي كانت قائمة بين المغول والمسلمين، وكما يقول بارتولد: «فإنَّ مغول چنگيز خان كانوا على مستوى منخفض جدًّا من الحضارة حتى عند مقارنتهم بأبناء عمومته من الكرايت والنيمان، ونتيجة لهذا فإنه فور الفراغ من توحيد منغوليا وقبل إخضاع البلاد المتحضرة برزت أهمية الإفادة من الشعوب التي خضعت للمغول^(٣)، وكان أول ممثلين للحضارة في بلاط چنگيز خان - وذلك قبل عام ١٢٠٣م - ممن وصلتنا حقائق بشأنهم هم بعض التجار من المسلمين»^(٤)، وإذا كان بارتولد يعقب على ذلك بالقول: «ولا علم لنا بما تمتعوا به من نفوذ لدى چنگيز خان، ولكن يمكن القول بأنهم أخذوا طرفًا في وضع نظام الحرس»، فإنَّ لنا أن نقول: أن تأثيرهم كان أبعد من ذلك، إذ «كان التجار المسلمون في تلك الأعوام يسيطرون على التجارة بين آسيا الوسطى والشرق الأدنى من جهة، وما بين الصين ومنغوليا من جهة أخرى»^(٥)؛ وإنَّ في طلب

(١) الكامل في التاريخ: ٣٦٢/١٢.

(٢) ضرب الزمخشري مثلًا فقال: «لا أتيك سَجِيسَ الدهر، وسَجِيسَ الليالي، وسَجِيسَ الأوجس، أي طوال الدهر» (أساس البلاغة: سجس).

(٣) مثل الصينيين والأويغور الذين استفاد المغول منهم فعلاً، فقد أمر چنگيز خان بأن يتعلم أولاد المغول الكتابة على أيدي الأويغور (ينظر: تاريخ جهانگشاي: ١٧/١؛ تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: ٥٥٣).

(٤) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: ٥٥٢ - ٥٥٣.

(٥) حياة تيموتشين (چنگيز خان): كيتشانوف: ٢٧٩.

چنگيز خان إلى الخواتين والأمراء أن ينتقوا من هو أكثر لياقة من أولئك المسلمين، ما يدل وجود أعداد كبيرة منهم بين ظهراي الأسرة المغوليّة الحاكمة بحيث أمكن الانتقاء منهم، وربّما أعداد أُرخر بين ظهراي عامّة القبائل، وإنّ وجود ٤٥٠ ممّن يجيدون فنّ التعاملات التجاريّة يعملون لدى الخواتين والأمراء من أنجال الأسرة الجنكيزيّة فحسب، دالٌّ على عمق نفوذهم - وهم المثقّفون والمتعلّمون بصورة عامّة - لدى القبائل المغوليّة التي كانت لا تعرف القراءة والكتابة قبل عهد چنگيز خان.

يقول المؤرّخ الجوينيّ في حصيلةٍ لخصّها عن وضع المسلمين عقب ما فعّله محمّد خوارزم شاه: «وفي ذلك الوقت كان المغول ينظرون إلى المسلمين نظرة احترام، وكانوا يُنزّلونهم - إكرامًا لهم وتيمّنًا بهم - في خيام نظيفة من اللبّد الأبيض^(١)؛ وقد أدلّوا أنفسهم اليوم بهذا الشكل وأهانوها بسبب أتهمهم لبعضهم البعض وعبوبهم الأخلاقيّة الأخرى»^(٢).

أخيرًا لقد قضى تصرّف محمّد خوارزم شاه الطائش على أيّ احتمالٍ لأنّ تسير عملية التواصل بين المسلمين والمغول بانسيابيّة وسلام ليتعرّف هؤلاء إلى الإسلام وليعتنقوه، وهو الذي سيحدث بعد سنواتٍ طويلةٍ من هذا العهد الذي افتتحه محمّد خوارزم شاه بهذا المشهد الدامي بقتله أولئك التجّار، وردّ عليه چنگيز خان بردًا أكثر إجرامًا بحقّ الشعوب المسلمة.

وكان من بين المدن التي اقتحمها المغول بقيادة چنگيز خان نفسه^(٣)؛ مدينة أترار بعد قتال عنيف دام شهرًا قاتل فيه حاكمها ينال خان (إينال جُق) والجند الذين معه - وكان عددهم عشرين ألف مقاتل - قتال المستميتين حتّى قُتلوا بأسرهم، وقُتل خلال ذلك حشودٌ من المغول أيضًا، ولم يبقَ إلّا ينال خان واثنان من جنده، وكانت الأوامر تنصّ على

(١) اللبد، وجمعه لبود: «كُلُّ شَعْرٍ أَوْ صُوفٍ مُلْتَبِدٍ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، فَهُوَ لِبْدٌ وَبُيْدَةٌ وَبُيْدَةٌ، وَالْجَمْعُ أَلْبَادُ وَبُيُودٌ» (لسان العرب)، ويكون ثخينًا، وتُصنع منه أسطمة وما يُجعل على ظهر الفرس.

(٢) تاريخ جهانگشاي، ٦١/١، والكلام من قوله «وفي ذلك الوقت كان المغول ينظرون إلى المسلمين...» إلى قوله «وعيوبهم الأخلاقيّة الأخرى»، لم يُترجم إلى العربيّة في طبعة الدكتور التونجي لهذا الكتاب (تاريخ فاتح العالم) وسقط منها.

(٣) ينظر: سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٤٥؛ نزهة المقلتين: ٨٠.

ضرورة الإبقاء عليه حياً، «وقام المغول باقتياد جميع مَنْ في المدينة من الفُجَّار والأبرار، من النساء والرجال مثل قطع الأغنام إلى خارج المدينة، ونهبوا كل ما هو موجود فيها من أمتعة وأقمشة»^(١)، ثم ألقى القبض على ينال خان قاتل التجار وأحضر بين يدي چنگيز خان فأمر بإذابة كمية من الفضة وسكبها في أذنيه وعينه^(٢).

السلام لا الحرب هو السبيل الأمثل لنشر الإسلام

في ضوء المعطيات المتوفرة يُمكن القول إنَّ كلَّ الكوارث التي حلَّتْ بالعالم الإسلاميَّ جراء الغزوات المغوليَّة ما كانت لتحدث لولا مجزرة أترار؛ وعلى فرض نشوب حروب بين چنگيز خان وجيرانه المسلمين في الدولة الخوارزم شاهيَّة، فإنَّه كان يمكن لقانون حروب الكرِّ والفرِّ أن يكون هو السائد في الحروب بين المغول والمسلمين، بل وكان يمكن تحقيق حالة من الوئام بوجود منافع تجاريَّة بين شعوب تلك الأصقاع.

لقد أضع محمد خوارزم شاه بقتله التجار فرصة قيام ذلك الحوار الحضاري الذي كان يُمكن أن يتم من خلال الحركة التجاريَّة التي ستزدهر حتمًا، ومن خلال الاختلاط بين الشعوب والقبائل لينتشر الإسلام بين تلك الشعوب، وهو ما حدث فيما بعد في الفترات التي كانت تعيش فيه تلك الشعوب في موضع واحدٍ وتُؤخذ فيه العلاقات التجاريَّة بنظر الاعتبار، فعلى عهد قوبيلاي قآن مثلاً حدَّث أن قُدِّم طعامٌ لمجموعةٍ من التجار المسلمين القادمين إلى بلاده وحين امتنعوا عن أكله قائلين إنَّه ميتة في شريعتهم، يقول رشيد الدين إنه عندما أخبر قوبيلاي بذلك، غضب و«أصدر أمرًا بأنه من الآن فصاعدًا لا يذبح المسلمون ولا أهل الكتاب الأغنام (على طريقتهم)، بل على الطريقة المغوليَّة بشقِّ صدرها وجنبها؛ وكلُّ من يذبح خروفًا يذبح وتُنهب زوجته وأطفاله وكلُّ ممتلكاته وأمواله». ويتابع رشيد الدين فيقول: إن الأمر صعب على المسلمين لاسيما وقد تدخل أحد النصارى تدخلًا منافقًا سيئًا في الأمر، إلى الحد الذي لم يستطع المسلمون حتَّى ختان أولادهم، ثم غادر أغلبهم إلى بلدان أخرى. أخيرًا تقدَّم إليه أحد وزرائه قائلاً: «إنَّ جميع التجار المسلمين نزحوا من

(١) تاريخ جهانگشاي: ٦٥/١.

(٢) ينظر: سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٤٥؛ نزهة المقلتين: ٨١.

بلادنا، ولم يعد يأتي كبار التجار من ولايات المسلمين، وقد قلت الضرائب التي تؤخذ على البضائع، كما لم يعودوا يجلبون الثَّحَف؛ لأنَّ (المسلمين) لم يذبخوا الأغنام لمُدَّة سبع سنوات، فلو أصدرت أمرًا بإباحة ذلك عاود التجار ترددهم إلينا ونحصل على الضرائب كاملةً. فأصدر القآن أمره بإباحة الذبح»^(١)، وهكذا فتحت المصالح التجارية باب التفاهم مرّة أخرى.

لنأخذ القائد العسكري الأمير المغولي أنندَه وهو حفيد قوبيلاي قآن، وكان أبوه حاكمًا لولاية تنكقوت ذات الغالبية المسلمة، فلمَّا لم يكن يعيش له ولد، فقد قرَّر أن يعهد برعاية نجله هذا إلى رجلٍ مسلمٍ سلَّمه لزوجته التي أرضعته وعلمته القرآن والخطَّ العربي فكان يكتب به، كما كان يقضي وقته في العبادة، أمَّا جيشه الذي بلغ تعدادُه ١٥٠٠٠٠ ألف جندي فقد جعل أغلبهم يعتنقون الإسلام؛ غير أنَّ أحد الأمراء لديه الذي لم يكن يرتاح للإسلام اشتكى لدى قوبيلاي من أن حفيده يلازم المسجد ويؤدِّي الفروض ويعكف على تلاوة القرآن، وقد حَتَنَ أغلب أطفال المغول، وجعل أغلب جنوده يعتنقون الإسلام، فغضب القآن وبعث من يمنعه من العبادة ويبعده عن المسلمين ويشجعه على السجود للأصنام، وقد رفض الأمير أنندَه إطاعة ذلك الأمر قائلاً كيف أسجد للصنم الذي صنعه الإنسان؟! إنني لن أسجد إلا للذي خلقني وخالق القآن، وقد ازداد غضب القآن وألقى بأنندَه في السجن، لكنّه لم يزد إلا تمسكًا بدينه، قائلاً: إنَّ الله هو الذي هداه لدينه، وهو الذي هدى شقيقه الأكبر سنًا غازان أيضًا^(٢). وهنا تقدّمت زوجة القآن إليه ونصحته قائلة: «لقد اعتليت العرش منذ سنتين ولم يستوسق لك الأمر بعد، وإنَّ جنود أنندَه كثيرون، وجميعهم وكذلك أهالي ولاية تنكقوت مسلمون ولن يرتضوا منك هذا الموقف، ونحن قريبون من بلاد الأعداء، وربّما دعاهم ذلك إلى أن يغيّروا ولاءهم، ولذا فليس من المصلحة إجبار أنندَه على ترك دينه، فلتدعه وشأنه فهو أعرف بأمور دينه»^(٣).

(١) جامع التواريخ: ٦٥٤/٢ - ٦٥٥، الطبعة العربية، (تاريخ خلفاء چنگيز خان): ٢٨٩ - ٢٩٠. وقد حكم قوبيلاي خلال السنوات (١٢٦٠ - ١٢٩٤م).

(٢) حدثت هذه الواقعة سنة (٦٦٠هـ)، وغازان هذا هو ابن مينكقلان بن قوبيلاي.

(٣) رشيد الدين، جامع التواريخ؟ الطبعة العربية، (تاريخ خلفاء چنگيز خان): ٣١٦ - ٣١٧. وقد حكم

واقنتع قوبيلاي بهذه النصيحة وتخلّى عن مضايقة حفيده أنّدّه.

بل حدث ما هو أكثر إثارة للاهتمام فيما بعد عقب سقوط الخلافة العبّاسيّة وهزيمة هولوكو في عين جالوت (سنة ٦٥٨هـ) واستيساق الأمر للملك الظاهر بيبرس في مصر والشام؛ إذ كان يَفِدُ إليه حشودٌ من التتر ليعيشوا في كنف دولته «كُلّ ذلك ليؤلّف قلوبهم على حبّ الإسلام، ويرغبَ مَنْ نأى عنه منهم إلى الانقياد والاستسلام»^(١)، ونقرأ في حوادث سنة (٦٦٠هـ): «في ذي الحجّة وصل إلى دمشق من التتار نحو المئتين هاربين إلى المسلمين، فأعطوا أخباراً وهم أوّل من فرّ من التتار ودخل في الإسلام»^(٢).

جنكيز وعلاء الدين محمّد خوارزم شاه

ابْتُئيت الشعوب الواقعة تحت سلطة السلطان المغامر محمّد خوارزم شاه بأنّها أصبحت بين شخصيّتين متنازعتين، ألغت مجزرة أترار وتعنّت خوارزم شاه إلى الأبد، أيّ وسيلةٍ للسلام بينهما؟ فقد كانت هناك:

١. طموحات السلطان محمّد خوارزم شاه الطامع في إقامة إمبراطورية تضمّ أقصى ما يُمكنه الاستيلاء عليه من بقاع الأرض بما في ذلك بلاد الصين وعاصمة الخلافة بغداد، مع ضيق أفقه الفكريّ الذي جعله يُخطّط لهذه العملية من غير أن تكون لديه مقوّماتها، وهو ما دلّلت عليه تصرفاته السابقة والألاحقة.
٢. رغبات جنكيز خان التي كانت تحرّكها مشاعر الثأر والانتقام لهيبته المُنتهكة، وذلك بقتل التجّار المسلمين الذين أشرف هو شخصياً على ترتيبات سفرهم إلى بلاد محمّد خوارزم شاه، حتّى إنّ جنكيز خان كان يسمّيه منذ تلك الحادثة باسم «محمّد أغري»،

قوبيلاي خلال السنوات (٦٥٨ - ٦٩٤هـ / ١٢٦٠ - ١٢٩٤م).

- (١) على حدّ تعبير ابن شدّاد في تاريخ الملك الظاهر: ٣٣٧ - ٣٣٨، وفيه أنّ التتار كانوا ٣٠٠٠ فارس، البداية والنهاية: ابن كثير: ٢٧١/١٣. حكم الظاهر بيبرس في السنوات (٦٥٨ - ٦٧٦هـ).
- (٢) تاريخ الإسلام: ٦٩٧/١٤. الأخباز، ومفردها حُبْز: «قطعة من الأرض مُنحت إلى أمير أو أي شخص من المجنّدين، ويستغلّ حاصلها في سبيل عيشه. وإقطاع خاصّ». (تكملة المعاجم العربيّة: دوزي: ١٥/٤).

أي: محمد اللُّص، ويفسّر ذلك بقوله: «إنّه لم يكن ملك خوارزم بل كان لَصًّا، ولو كان ملكًا لم يقتل سُفرائي وتُجّاري الذين كانوا قد ذهبوا إلى أترار؛ إنّ الملوك لا يقتلون السُّفراء والتُّجّار»^(١)؛ فضلًا عن روح التوسع والهيمنة التي لديه أصلًا، لكنها في هذه المرة توجّهت هذه المرة باتجاه المدن الإسلامية الخاضعة لحكم خوارزم شاه، بعد أن أشعلت مجزرة أترار شرارتها.

علينا التذكير بأنه قبل هذه السفارة التي ذهبت مع التجار إلى أترار كان چنگيز خان قد أرسل رسالة سلام إلى السلطان محمد خوارزم شاه بيد رئيس وفدٍ كان قد أرسله خوارزم شاه، وليس في الأمر ما يدعو إلى التشكيك بصدق نوايا چنگيز خان في السلام، فكما يقول بارتولد فإنّه «ليس هناك ما يسوق إلى التشكُّك في صدق نوايا چنگيز خان، فهو قد كان في تلك الآونة أبعد ذهنيًا عن السيطرة على العالم، ذلك أنّ توحيد القبائل الرُّحَل القاطنة بمغوليا كان يسوق دائمًا إلى غزو الصين»^(٢)؛ وهو ما قام به فعلاً عندما استولى على الصين، وكان ابن ملك الصين أسيرًا لديه عندما قدم الوفد الذي أرسله محمد خوارزم شاه سنة ١٢١٣هـ/١٢١٦م، أي قبل وقوع حادثة قتل التجار بسنتين.

وبإزاء ذلك فإنَّ نصًّا يكشف عن أطماع السلطان محمد خوارزم شاه في بلاد الصين يجعلنا نرى السلطان وكأنه يريد الانتقام من چنگيز خان الذي كان يرى فيه محطّمًا لحلمه الذي ظلَّ يحمله بإصرار في عقله وقلبه؛ ألا وهو السيطرة على بلاد الصين؛ يقول منهاج السُّراج: «سنة (٦١٧هـ)، قال لي تاج الدين دبير^(٣) الجامي الذي كان واحدًا من أركان الدولة الخوارزم شاهية: لقد هيمنت على عقل السلطان محمد خوارزم شاه عليه الرحمة فكرة السيطرة على ممالك الصين، وكان دومًا يتابع أخبارها ويسأل عن مستقبل ممالك الصين وأقاصي بلاد تركستان، ولقد حاولنا نحن العاملين معه أن نُثنيه بشكل من الأشكال عن

(١) طبقات ناصري: منهاج السُّراج: ١٢٤/٢.

(٢) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: ٥٦٤.

(٣) كلمة دبير فارسيّة وتعني المنشئ أو الكاتب أو الذي تلقى العلم (فرهنگ فارسي). وتعادل ما يُدعى اليوم بالسكرتير الشخصي.

ذلك، لكننا لم نتمكن من إخراج تلك الفكرة من رأسه»^(١).

وَبُغِيَّة تحقيق نواياه رأى السلطان محمد خوارزم شاه ضرورة معرفة القوة والعدة التي لدى چنگيز خان الذي كان قد استولى للتو على الصين وكان مُقيماً في بكين عندما أرسل محمد خوارزم شاه وفده الذي ذكرناه آنفاً، للحصول على معلوماتٍ وافيةٍ عن تلك الأمور خلال سفارته تلك، وقد روى رئيس هذا الوفد وهو السيد العلوي بهاء الدين الرازي قصة سفارته إلى بلاط چنگيز خان تلك إلى منهاج السراج الذي دونها في تاريخه، وروايته بهذا الشأن هي أوثق الروايات؛ وسرى التقاء هذه الرواية في بعض مفرداتها مع الرواية الشائعة التي ذكرناها آنفاً مع زيادات مهمة لهذا السفير الذي يقول إن سبب تلك السفارة هو أنه «لما تناهى إلى سمع خوارزم شاه أبناء ظهور چنگيز خان واستيلاء جيش المغول على ممالك طمغاج^(٢) وبلاد يُعُر^(٣) والتبت وأقاليم الصين في أقصى المشرق، أراد التحقق من صحة تلك الأخبار ومعرفة ما عليه جيش من المغول من حيث العدة والعدد»، ثم يتحدث الرازي بعد ذلك عن رحلته إلى بلاط چنگيز خان وما رآه في طريقه، وعن لقائه به، ثم عودته ومن معه وما أرسله معهم من التحف والهدايا فيقول: «أرسل معنا تحفاً وهدايا كثيرة إلى خوارزم شاه وقال: أخبروا محمد خوارزم شاه بكلامي هذا: إنني ملك الشمس المشرقة وأنت ملك الشمس الغاربة، فلتكن الجهود والمودة والمحبة والسلام وثيقة فيما بيننا، وأن يتم تردد التجار والقوافل بين الجانبين، وليجلبوا لك ما في ولايتي من التحف والبضائع، وأن يجلبوا ما في ولايتك لولايتي».

وكان من بين التحف والهدايا التي بعثها معي للسلطان محمد خوارزم شاه قطعة من الذهب الصامت كانت قد جلبت إليه على بعير من جبل طمغاج والصين، وكان ينبغي لهذه القطعة أن تحمل على بعير، ثم أرسل معنا ٥٠٠ بعير محملة بالذهب، والفضة، والحريز،

(١) طبقات ناصري: ١٠٢/٢.

(٢) طمغاج، ونرى أنها هي نفسها تفغاج التي ذكرها الكاشغري وقال إنها الماصين (الصين الشمالية) ديوان لغات الترك: ٢٨/١.

(٣) في الأصل: «تغر»، ويبدو أن ما أثبتناه هو الصواب ونرى أنها بلاد الأويغور.

والقز الختائي، والترغو^(١)، والقنْدُز، والسمور، والإبريسم، وتحف الصين، وطمغاج برفقة تجّاره، وكانت غالبية الجمال محمّلة بالذهب والفضة، وعند الوصول إلى أترار غدر بهم قدر خان^(٢) حاكم أترار وطلب الإذن من محمّد خوارزم شاه فقتل جميع التجّار والقادمين والرسل طمعًا بذلك الذهب والفضة، بحيث لم ينج منهم أحد سوى جمّال كان في الحمّام ساعتها، ففرّ عن طريق موقد الحمّام واحتال في الإبقاء على حياته ووصل عن طريق الصحراء إلى بلاد الصين وطمغاج وأخبر چنگيز خان بتفاصيل ذلك الغدر^(٣).

ويجدد بنا هنا ذكر خبرٍ صغيرٍ كاد أن يضيع وسط أهوال العنف المغولي ولم تجر العادة أن يُشار إليه، وإنما نراه مهمًّا جدًّا؛ لكونه تصرّفًا عفويًّا صدر من چنگيز خان خلال زيارة الوفد القادم من السلطان محمّد خوارزم شاه، رواه رئيس الوفد بهاء الدين الرازي لمنهاج السراج الذي قال: «لما وصلنا إلى چنگيز خان أحضر وزير طمغاج ونجل ألتون خان وعمّه^(٤)، ودعانا ثمّ توجهّ إليهم بالخطاب: انظروا كيف أنّ عظمتي ومُلْكي بلغ حدًّا أنّ مَلِك البلاد التي تغرب فيها الشمس^(٥) أرسلَ إليّ الرُّسل»^(٦).

إنّ تصرّفًا وكلامًا كهذا - فضلًا عن وقائع أخرى ذكرناها - لا يدلُّ على نوايا سيئة لدى چنگيز خان تجاه الدولة التي تغرب فيها الشمس، الدولة الخوارزمية، بل هو دالٌّ على منتهى الاحترام لمحمّد خوارزم شاه.

أما ما قيل عن استنكاف السلطان محمّد من تسمية چنگيز خان له بـ «الولد»، وقوله: «من هذا اللّعين حتّى يخاطبني بالولد؟»، وأنّ استنكافه نابعٌ من كون جنكيز وثنيًّا أو كافرًا؛ فقد أراد به تسويغ عداته هو لچنگيز خان، ذلك أنّ المعروف عنه عدم استنكافه من

(١) الترغو: نسيج حرير أحمر (لغت نامه دهخدا).

(٢) هو المعروف بغير خان.

(٣) طبقات ناصري: ١٠٣/٢ - ١٠٤. وكان منهاج السراج قد أورد هذه الواقعة أيضًا في: ٣١١/١.

(٤) كانوا قد وقعوا أسرى بيد چنگيز خان لدى غزوه الصين.

(٥) كما هو معلوم فقد كانت الدولة الخوارزمية تقع إلى الغرب من بلاد چنگيز خان.

(٦) طبقات ناصري: ٣١٠/١ - ٣١١.

«الكفار»؛ ولدى صراعه على العرش مع شقيقه تحالف ضده مع «الكفار» القراخانيين، بل إنه أطمعهم بما في خوارزم من أموال وذخائر ليشجعهم على القدوم معه لحرب شقيقه ونهب المدينة؛ كما لجأ إلى الاستعانة بهم في حربه مع السلطان شهاب الدين الغوري^(١). كما أن السلاطين الخوارزمية وقبل أن يشتدّ عودهم، ظلّوا لسنوات تابعين للقراخانيين «الكفار».

تحليل سيكولوجي لحالة ندم ناجمة عن إحباط

نقلنا آنفاً قول ابن الأثير في السلطان محمد بعد قتله التجار: «فندم على قتل أصحابهم وأخذ أموالهم وحصل عنده فكر زائد»، ذلك أنه لم يكن على علم تام بأعداد جيوش المغول الهائلة، وحتى لو كان لديه تصور مجمل عنها فقد كان لديه أعداد هائلة من الجند أيضاً، مع فارق أنه كان يتخبّط في اتخاذ القرارات وتزاحمه في ذلك والدته تركان خاتون، وكانت قواته وقياداته خليطاً ضمّ حتى ناقمين عليه بسبب قتله أهلهم وذويهم وإسقاطهم عن كراسيهم.

يوجز الباحث البريطاني ساندرز شخصية محمد خوارزم شاه وأسرته وجيشه بالقول: «كانت مملكة الخوارزم شاهيين تركيباً ضعيفاً واهي الأسس، وكان عامة أبناء الشعب الإيراني مشتمزين من هذه الطبقة من الحكام الأتراك، كان الجيش الخوارزم شاهي مكوناً من الجنود المرتزقة الذين من النادر أن يعاودوا التجمّع مرّة ثانية بعد هزيمتهم أو أن يكونوا أوفياء لسيدهم؛ كان الناس يحسّون بوطأة الظلم بسبب الضرائب الثقيلة التي تؤخذ منهم، لقد رأى الفرس الولايات بسبب الصراع الذي نشب بين السلطان والخليفة العباسي»، ويقول أيضاً: «كان السلطان محمد أميراً تافهاً محدود التفكير، وهو لم يكن سياسياً، كما لم يكن عسكرياً...، وينبغي أن يتحمّل مسؤولية الدمار المشؤوم الذي حلّ بمراكز المدن المكتظة بالسكان في شرقي إيران»^(٢).

(١) ينظر: الكامل في التاريخ: ٣٧٧/١١، ١٨٦/١٢؛ تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: ٥٠٤. والقراخاني هم المعروفون في المصادر الصينية بأسرة لياو الغربية (ينظر: حياة تيموتشين (چنگيز خان): كيتشانوف: ٢٣١، ٢٧٣).

(٢) تاريخ فتوحات مغول: ساندرز: ٦١.

نعتقد استناداً إلى التحليل السيكولوجي، أن ما حدث للسلطان محمد خوارزم شاه كان حالة إسقاط (Projection)، وهي واحدة من الميكانزمات (الآليات) الدفاعية التي تستخدمها الأنا لإزاحة صفةٍ ما في الذات وإلقائها على الآخر، وهي «العملية التي ينبذ فيها الشخص من ذاته بعض الصفات والمشاعر والرغبات وحتى بعض الموضوعات التي ينتكّر لها أو يرفضها في نفسه، كي يَموّضعها في الآخر، سواء أكان هذا الآخر شخصاً أم شيئاً»^(١).

كان العداء منطلقاً من قلب السلطان محمد تجاه چنگيز خان لأنه حطّم حلمه الجميل بالاستيلاء على الصين، لكنّه عكس الأمر بأن أزاح الحالة عن قلبه باتجاه الآخر أو أسقطها عليه ليقول إنَّ الآخر (چنگيز خان) هو الذي يضمّر الشرّ لي وإثمه هو الذي بدأ تلك العداوة؛ وكما يقول فينخل «فالحفزة العدوانية يُدرکها الفردُ في شخص آخر بدلاً من أن يُدرکها في الأنا الخاصة به»، ويفسّر ذلك بالقول: «وهذا الميكانزم الدفاعي العدائيّ إنّما يمكن استخدامه على نطاق واسع عندما تكون وظيفة الأنا في اختبار الواقع قد تدهورت بشكلٍ خطيرٍ بتأثير نكوص نرجسيّ يُميّع من جديد الحدودَ الفاصلة بين الأنا واللا أنا»^(٢).

ولا شكّ في أنّ السلطان محمّداً كان نرجسيّاً متمحوراً حول ذاته، قد تصرف تصرفاً غير مدروس في لحظة هياج أغراه فيها بريق الذهب والأموال فضلاً عن أن «أناه» قد أُصيبت بحالة إحباطٍ رهيبَةٍ عند عودته من غزو بغداد خائباً وكان يحلم أن يُنصّب نفسه حاكماً على الخليفة العبّاسي، وربّما احتمل أن يكون عزاؤه - بدلاً من بغداد - في غزو الصين، الأُمّية الغالية في وجدانه ليغنم جوهرة العمر، وإذا به يُفاجأ بأنّ چنگيز خان سبقه لاختطاف تلك الجوهرة، انهيار الجدار بين «أناه» المهزومة، وبين «لا أنا» المتمثلة في چنگيز خان، فاختار الإسقاط ميكانزماً معرّياً له في تلك الحيرة.

(١) معجم مصطلحات التحليل النفسي: لابلاش وبوتتاليس: ٧٠، يضرب إيفانس مثلاً على الإسقاط بالشخص غير المخلص لشريك حياته، فنراه يدافع عن نفسه في مواجهة شعوره بالذنب بأن يتّهم الشريك بعدم الإخلاص (ينظر معجم تمهيدّي لنظرية التحليل النفسي اللاكانية: إيفانس: ٥٩).

(٢) نظرية التحليل النفسي في العصاب: فينخل: ٥٣/٢.

احتمالات وملاحظات

١. لنا أن نفترض أن چنگيز خان وقد شاهد قوة السلطان محمد خوارزم شاه وهيمنته على ما تحت يده من البلاد رغب في أن يسود الوثام والسلام بينهما، وفي الحقيقة فإن كلا الطرفين كان بحاجة إلى هذا السلام، فخوارزم شاه كان منهمكاً في محاولة تحقيق حلمه بالاستيلاء على عاصمة الخلافة الإسلامية وتثبيت ملكه الذي كان يمتد على رقعة شاسعة من البلاد، وبدوره كان چنگيز خان بحاجة إلى أن يأمن جانب خوارزم شاه ليتفرغ إلى القضاء على حركات التمرد التي كانت تندلع في أطراف بلاده بين حين وآخر.

٢. سواء أكانت دوافع چنگيز خان لطلب الوثام والسلام نابعة من خوف من قوة خوارزم شاه أم من طمع في تحقيق مكاسب اقتصادية لبلاده ومواطنيه، فإن كلا الدافعين لا يُشكّلان خطراً على السلطان خوارزم شاه.

٣. استناداً إلى اللغة التي صاغ بها چنگيز خان رسالته، فنحن نرى بين سطورها رغبة صادقة في إقامة علاقات ودية بينه وبين سلطان المسلمين، وهي قد صيغت بلغة دبلوماسية راقية وخصوصاً قوله لخوارزم شاه: «أنت عندي مثل أعز أولادي»، وكما نقلنا في رواية أخرى «أنت وكل فرد من المسلمين عزيز لدي كواحد من أولادي».

٤. إذا أخذنا بنظر الاعتبار رواية النسوي التي ذكر فيها أن خوارزم شاه قد تيقن من صدق نوايا چنگيز خان عندما اختلى بأحد أعضاء الوفد (وهو محمود الخوارزمي) وسأله النصيحة فنصحه بإقامة علاقات الود بينه وبين الحاكم المغولي، فقد كان چنگيز خان صادقاً في نواياه.

هناك من يرى أن رسالة چنگيز خان حملت تهديداً في طياتها مثل مخاطبته السلطان بـ «أعز أولادي»، مما أثار حفيظة السلطان حتى نُقل عنه قوله غاضباً: «من هذا اللعين حتى يخاطبني بالولد؟»^(١)، ويُمكن تدعيم هذا الرأي بقول شبولر بأن قول چنگيز خان عن خوارزم شاه أنه مثل ولده أثارت غضب خوارزم شاه، سواء أراد چنگيز خان ذلك أم لم يُرد؛

(١) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٤٢.

ذلك أنّ هذا التعبير يدلّ آنذاك على علاقة الحاكم بالمحكوم^(١).

ويقول الدكتور حمدي: «إذا علمنا فوق ذلك أنّ چنگيز خان تعمّد أن يخبر علاء الدين خوارزم شاه أنه أخضع العناصر التركيّة، فإنّ هذا القول أيضًا يحمل معاني التهديد والوعيد ولا سيّما إذا علمنا أنّ علاء الدين كان تركيًّا الأصل»^(٢)،

أمّا قول الدكتور حمدي إنّ الإشارة إلى كون خوارزم شاه تركيًّا وأنه مشمول بذلك التهديد، فإنّ المغول أنفسهم كان يُشار إليهم بكونهم تُركًا، فَيُعَبَّر عن المغول أو التتر بالتُّرك، فالتركيّ العريق الكاشغريّ يقول إن «الترك عشرون قبيلة» ويذكر في آخرهم التتار^(٣)، ونقرأ لدى رشيد الدين قوله: «إنّ هؤلاء المغول كانوا قومًا من الأرقام الأتراك»^(٤)، ويقول ياقوت: «التتر صنّف من التُّرك»، و «الكفّار من التُّرك المسمّون بالتتر»^(٥)، والتتار قبيلة مغوليّة كما هو معلوم؛ بل إنّ «لسان المغول يتداخله كثيرٌ من اللغة التركيّة»^(٦)، ويقول كاترمير: إنّ جيوش چنگيز خان وخلفاءه كانت تتداول لغتين هما التركيّة والمغوليّة، وإنّ ذلك حدث منذ عصر چنگيز خان نفسه، وهو يعزو ذلك إلى الاحتكاك اليوميّ، ويقول أيضًا: «لا بدّ أيضًا أن تكون الزيجات التي كانت تقع يوميًّا بين رجال من أصل مغوليّ ونساء من أصل تركيّ، قد ساعدت على إدخال كثير من العبارات غير المغوليّة في اللغة المغوليّة»^(٧).

وعليه فلا توجد إشارة تهديديّة أو استفزازيّة في المقام.

٥. إنّ السلطان الذي كان يريد إسقاط الحاكم العباسيّ الظالم - كما قال - وإقامة حكومة عادلة تعدل بين المسلمين، قاده طمعه بأموال ٤٥٠ تاجرًا من المسلمين إلى ارتكاب

(١) ينظر تاريخ مغول در إيران: شبولر: ٢٦.

(٢) الدولة الخوارزميّة والمغول: ٦٨.

(٣) ينظر: ديوان لغات الترك: الكاشغري: ٢٨/١؛ السيف المهند: العيني: ٢٠.

(٤) جامع التواريخ: ٤٢/١ (ط روشن وموسوي).

(٥) معجم البلدان: ٤٨٥/٢، ٨٥٨/٤.

(٦) حلية الإنسان: ٢٣٠.

(٧) كاترمير، مقدّمة الترجمة العربيّة لجامع التواريخ، الإيلخانيّون، تاريخ هولوكو: (١)٢ / ١٣٦.

مجزرة لا مسوّغ لها بأيّ شرعٍ أو عُرف، ولو كان ما جرى من غير علمه فقد كان الواجب يُملي عليه إقامة الحدّ على مرتكبها الذي قَتَلَ بدمٍ باردٍ هذا العدد الغفير من الأبرياء.

٦. إنّ السلطان كان غير نادمٍ على فعلته بقتل التجّار المسلمين؛ والدليل على ذلك أنّه باع ما استولى عليه من أموال التجّار الضحايا، يقول ابن الأثير إنّ خوارزم شاه كتب إلى حاكم أترار يأمره بقتل التجار: «وأخذ ما معهم من الأموال وإنفاذه إليه، فقتلهم وسيّر ما معهم - وكان شيئاً كثيراً - فلمّا وصل إلى خوارزم شاه فرّقه على تجّار بخارى وسمرقند وأخذ ثمنه منهم»^(١).

٧. هناك احتمال يُشير إليه ساندرز من أن يكون أولئك التجّار جواسيس إذ يقول: «لقد اشتهرت جدّاً سياسات جنكيز الذكيّة وخدعته الاستراتيجية، ممّا يدعو إلى أن يردّ على الذهن الشكّ بإمكانية أن يكون چنگيز خان قد أرسل جواسيسه ومأموريه بهيئة تجّار مسالمين»^(٢).

ولقد نقلنا من النّسويّ مؤرّخ البلاط الخوارزم شاهي من أنّ حاكم أترار كان خائناً وكاذباً حين كتب إلى السلطان باحتمال أن يكون أولئك التجّار جواسيس. ولقد رأينا كيف أنّ خوارزم شاه حين أراد معرفة ما في بلاد چنگيز خان من أسرار أرسل إليه وفداً صغيراً برئاسة بهاء الدين الرازي، ولدى عودته قدّم له تقريراً وافياً بشأن كلّ ما أراد الاطلاع عليه، وعليه فليس هناك من داعٍ لإرسال ٤٥٠ شخصاً للقيام بمهمّة تجسسيّة وتحميلهم أموالاً وثروات هائلة ليتمّ الاستيلاء عليها ومصادرتها، فضلاً عن أن ساندرز نفسه تحدّث عن عدم اعتياد المغول مهاجمة المدن عندما قال في عبارات شاملة عرّف فيها أيضاً بشخصية السلطان محمّد خوارزم شاه: «كانت هيكلية الدولة الخوارزمية ضعيفة لا تقوم على أساسٍ راسخ، وكان رعاياها من الإيرانيين مشتمزّين من تلك الطبقة الحاكمة من الأتراك، كان الجيش الخوارزم شاهي مؤلّفاً من المرتزقة الذين كان من النادر أن يُظهروا الثبات والوفاء في ميدان القتال، وكان الناس يرزحون تحت ثقل الضرائب الباهظة، وكان الإيرانيون يعانون من صراع

(١) الكامل في التاريخ: ٣٦٢/١٢، النّص نفسه في شرح نهج البلاغة: ٢٢١/٨.

(٢) تاريخ فتوحات مغول: ٦٠ - ٦١.

السلطان محمد مع الخليفة العباسي، وكان هذا السلطان أميرًا تافهًا خفيف العقل عديم اللياقة لذلك المنصب، ولم يكن سياسيًا ولا عسكريًا؛ وإنَّ حُبَّهُ للظهور وشعوره بالزهو لكي يحكم مثل السلاجقة العظام ويكون مَلِكًا لدولة إسلامية، كان يتناقض مع الأساليب التي كان يتبناها، وإنَّ عدم كفاءته الواضحة لأداء دور كهذا تُكذِّب ادِّعاءاته في هذا المجال.

إنَّ آثام الكوارث المشؤومة التي حلَّت بالحواضر الشرقية لإيران المزدحمة بالسكان ينبغي أن تُلقى على عاتقه، وإنَّ المجازر البشعة والمتعمَّدة التي ارتكبها المغول بدماءٍ باردة ممَّا لم يُشاهد له مثيل إلا على أيدي الآشوريين في التاريخ القديم وعلى أيدي النازيين في العصر الراهن، ربَّما كان ينبع من مزيج من التفوق العسكري ومن المخاوف المرتبطة بالخرافات. فإنَّ المغول لم يعتادوا الحرب في البقاع المأهولة بالسكان؛ وبالرغم من أنَّهم كانوا قد استخدموا فنونًا في محاصرة المدن فإنَّ احتلال الأماكن الحصينة كان يكلفهم كثيرًا ويحملهم المشاق؛ ذلك أنَّهم تطبَّعوا على جوب الصحاري والسهوب وكانوا يعدُّون سكان المدن أذلاء، ويشعرون بأنَّ العيش داخل جدران المدن هو سجن وعذاب للروح؛ ولذا فإنَّ من الممكن أنَّه بواسطة ارتكابهم مجزرة في إحدى المدن سيجعلون الناس يعيشون الرعب في مدينة أخرى حين يأخذون ذلك بنظر الاعتبار ويستسلمون بسرعة^(١).

٨. إنَّ تقليبنا لجميع أوجه مغامرة قتل التجار بهذا الصلف والطيش وعدم وجود أيِّ مسوِّغ لها جعلنا نعتقد أنَّ شرَّه السلطان محمد خوارزم شاه إلى تلك الأموال الطائلة إنَّما جاء عقب عودته من غزوته الفاشلة لبغداد، وأنَّه أراد التعويض عن النفقات الهائلة التي أنفقها على الجيش الجرار الذي نَقَلَه آلاف الكيلومترات من أصقاع آسيا النائية حتَّى أواسط الطريق بين همذان وبغداد.

أمَّا عن عدم تسليمه حاكم أترار، فهناك تعليق معقول للباحث المعاصر ستيفن داتج يقول فيه: «إنَّ طلب چنغيز خان إلى خوارزم شاه أن يسلمه حاكم مدينة أترار، يشبه أن يطلب رئيسُ دولة هايتي إلى رئيس الولايات المتحدة الأميركية أن يسلمه حاكم فلوريدا»^(٢).

(١) تاريخ فتوحات مغول: ٦١.

(٢) من مقالة له منشورة على موقع ويكيبيديا الإلكتروني تحت عنوان: Rise of Mongol Power.

ونقولُ بدورنا: إنَّ رئيس الولايات المتحدة لديه القدرة على تحشيد قواتٍ كافيةٍ لغزو هايتي إذا قامت بعمل مماثلٍ وأعلنت حالة النفير العام، في حين لم يكن السلطان محمَّد خوارزم شاه مقدراً القوَّة الحقيقيَّة لچنگيز خان؛ والدليل على ذلك الخوف والرعب اللذان تملكاه؛ إذ يقول النَّسَوِيُّ مؤرِّخ البلاط الخوارزم شاهي، إنَّه بعد أن قتل حاكم أترار التجار الأربع مئة وخمسين، وجاء رُسُل چنگيز خان برسالةٍ منه يطلب إلى السلطان تفسيراً لما حدث: «اعتقدَ أنَّه لو لاطفَ چنگيز خان في الجواب لم يَزِدْهُ ذلك إلا طمعاً فيه؛ فتماسك وتجلَّد، وأبى وقد خامرَ الرعبُ الخلدَ، وأمرَ بقتل أولئك الرُّسل، فقُتِلوا».

ثمَّ يعلِّق النَّسَوِيُّ قائلاً: «فيا لها من قتلةٍ هدَّرت دماء الإسلام، وأجرت بكلِّ نقطةٍ سيلاً من الدم الحرام؛ فاستولى عن الغيظ فيضاً، وأخلى بكلِّ شخصٍ أرضاً»^(١).

كانت نتيجة ذلك العمل الأحمق الأخرق أن يمتدَّ خيط الدم فوراً دقاًفاً من خوارزم ليطوِّق المدن والحواضر الإسلاميَّة ثمَّ يُغرقها بأبشع ما يُمكن تصوُّره من فظائع ومحنٍ، ويمتدَّ لعشرات السنين حتَّى يصل بعد أربعين عاماً إلى بغداد مدينة السلام وزهرة الدنيا، ومن هناك إلى مدن بلاد الشام وما جاوَزها؛ ولم ينسَ چنگيز خان خصمه حاكم أترار الذي باشر بتنفيذ المجزرة؛ فقد حرص على قتله «أمَّا المدينة (أترار) نفسها، فقد سوَّيت بالأرض تحت أكوام من الأنقاض كشف عنها علماء الآثار حديثاً بعد ٨٠٠ عام»^(٢).

ما بعد المجزرة

في الوقت الذي تظاهر فيه السلطان محمَّد باللامبالاة والاعتداد بما لديه من أعداد ضخمة من الجُنْد في مواجهة رُسُل چنگيز خان وفيما بعد في مواجهة استعدادات چنگيز خان للهجوم على بلاده، وهذا هو معنى قول النَّسَوِيِّ «فتماسك وتجلَّد...»، إلا أنَّ كلمات محمود الخوارزميِّ رسول جنكيز - في الأقلِّ - الذي صدَّقَه القول وحدَّثه عن قوَّة هذا

(١) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٤٣. والمعنى: أنَّ هولاء استولى على فيض بدل الغيظ الذي فقَّده، وأخذ بلداً كاملاً يدَل كلِّ واحدٍ ممَّن قتلهم حاكم أترار أو السلطان محمَّد، وقد عدَّ النَّسَوِيُّ هنا الفعل «استولى» متعدِّياً بنفسه، وليس الأمر كذلك.

(٢) چنگيز خان، الحياة والموت والانبعاث، ١٧٥.

المغولي الذي أخضع جيرانه لإرادته، ظلت تتفاعل في لاشعوره فيتملكه الخوف؛ فضلاً عن عوامل أدت إلى الهزيمة المريعة التي مُني بها هذا السلطان في نهاية المطاف، وما سبَّبه من كوارث للعالم الإسلامي بسبب مغامرته الظالمة بقتل تجار چنگيز خان المسلمين واستيلائه على أموالهم، وليس لنا أن نظنه مجرداً من الضمير بحيث لم يشعر بوخزه ولاسيما في أيامه الأخيرة التي قضاها خائفاً مرتجعاً في إحدى الجزر المنعزلة «وحيداً فريداً، لا يملك طارقاً ولا تليداً»^(١)، وهو يترقب انقراض المغول عليه في أية لحظة؛ لكن الموت كان أسرع من أولئك الذين كانوا يمثلون الموت بأبشع صورته.

خط السلطان الدفاعية

يلخص الباحث كيتشانوف التخطيط للحرب في دولة خوارزم شاه، أو خطة الدفاع، أنه كان من المفترض تجميع جيش قوامه أربع مئة ألف مقاتل على ضفاف نهر سيحون، وتوجيه ضربة للمغول دون إعطائهم فرصة لالتقاط أنفاسهم بعد أن يكونوا قد قطعوا طريقاً طويلاً في وصولهم إلى ممتلكات السلطان خوارزم شاه؛ وهي الخطة التي كانت تهدف إلى عدم السماح للمغول بالتوغل في داخل حدود دولة خوارزم شاه.

وهناك خطة تقوم على هزيمة المغول في داخل حدود الدولة الخوارزم شاهية، أو فيما بين نهري سيحون وجيحون، يعتمد فيها قادة المعسكر السلطاني على معرفتهم بجغرافية المنطقة، بإغراء الجيش المغولي بالتوغل في الأماكن الجبلية الصعبة المداخل.

ثم يستدرك كيتشانوف بالقول: «تمّ الاتفاق على الخطة التي ليست الأفضل التي تتضمن تحاشي معركة شاملة، وإعطاء كل مدينة الحق بالدفاع بشكل مستقل. ولكن هذه الخطة التي تمّ الاتفاق عليها نُفذ منها القليل مما يختص باستحكامات المدن واستنفار السكان المقاتلين؛ بل الأكثر من ذلك أن خوارزم شاه قام بنهب مواطنيه جامعاً منهم الضريبة مضاعفةً ثلاث مرات للعام ١٢١٩ - ١٢٢٠م، الشيء الذي أدّى إلى زيادة الشعور بعدم رضا رعاياه»^(٢).

(١) كما يقول النَّسوي في سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٥٧.

(٢) حياة تيموتشين (چنگيز خان): ٢٨٦.

المطاردة الكبرى

خطة واحدة هي التي انتهى إليها السلطان محمد خوارزم شاه في نهاية المطاف تقوم على تحاشي المواجهة مع چنگيز خان الذي ظل وجيشه يطاردون السلطان من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى قرية وكان القتل والدمار يجتاح تلك المدن والقرى بسيوف المغول الذين لم يجدوا جيشاً فيها، بل مدنيين مسالمين، فكانوا يستولون فيها على كل شيء بسهولة ويسر، فيأخذون الأهالي سبايا والأموال غنيمة ويحرقون ما بقي قائماً على الأرض.

يصف الذهبيّ الرعب الذي تمكّن السلطان وهو يهرب من مدينةٍ إلى مدينةٍ باحثاً عن ملجأ فيقول: «وأما السلطان فإنه لم يزل منهزماً إلى أن قدم نيسابور، ولم يقم بها إلا ساعةً واحدةً رعباً من التتار، ثمّ ساق إلى أن وصل إلى مرج همذان ومعه بقايا عسكره نحو عشرين ألفاً، ولم يشعر إلا وقد أهدق به العدو، فقاتلهم بنفسه، وشمل القتل كلّ من كان في صحبتته، ولجأ في نفرٍ يسيرٍ إلى الجبل، ثمّ منها إلى الأستندار^(١) وهي أمانع ناحيةٍ في مازندران، ثمّ سار إلى حافة البحر، وأقام بقريةٍ، يُتَوَرُّ المسجد ويصليّ فيه إماماً بجماعة^(٢)، ويقرأ القرآن، ويبكي، فلم يلبث حتّى كبسه التتار، فهرب وركب في مركبٍ، فوقع فيه النشاب، وخاض خلفه طائفةٌ، فصدّهم عمق الماء عن لحوقه، فبقي في لُجّةٍ ولحقتة عِلَّةٌ ذات الجنب، فقال: «سبحان الله مالك الملوك لم يبق لنا من مملكتنا مع سعتها قدر ذراعين تُدفن فيها، فاعتبروا يا أولي الأبصار، فلمّا وصل إلى الجزيرة التي هناك، أقام بها طريداً وحيداً، والمرض يزداد به، ثمّ مات وكُفّن في شاشٍ فرأشٍ كان معه»^(٣).

(١) في الأصل: الأستدار؛ وطبعها بونبادوف: الإسيذار (ينظر سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٥٦)، مع أنّه أشار في الهامش إلى أنّها ذُكرت في إحدى مخطوطات الكتاب بصيغة الأستندار، قلتُ: وهو الصحيح، والأستندار «ناحيةٌ في غربي مازندران تتطابق ونور وكجور الحالية لكنّها كانت أكبر منها» (فرهنگ فارسي: معين)، وقد طبعتها الأستاذ الزبيق صحيحةً في نزهة المقلتين: ٩٦.

(٢) كذا في الأصل: «وأقام بقريةٍ يُتَوَرُّ المسجد ويصليّ فيه إماماً بجماعة»؛ وهو تصحيف، والصواب ما في سيرة السلطان جلال الدين منكبرني للنسوي: ٥٦، وفي نزهة المقلتين لأبي شامة: ٩٦: «وأقام عند الفرضة بقريةٍ من قراها، فيحضر المسجد ويصليّ به إمامٌ القرية الصلوات الخمس ويقرأ له القرآن...».

(٣) تاريخ الإسلام: ٢٧٩/١٣. وكلام الذهبيّ هنا مقتبسٌ بصورة رئيسيةٍ من النَّسَوِيِّ (ينظر سيرة السلطان

لقد قُدِّر له الموت بقريةٍ من قُرى جزيرة آبسكون، يذكر دولتشاه السمرقنديُّ أنّه أُصيب بمرضٍ بسبب عفونة جوِّ مازندران، فضلاً عن حسرته والهموم التي استولت على قلبه لعدم بلوغه آماله^(١).

ولم ترقد جثته بسلام في مثواها الأخير، يقول النَّسويُّ إنّهُ لدى استيلاء المغول على القلعة التي دُفنت فيها جثته أخرجوها وبعثوا بها إلى چنگيز خان فأحرقها، وقال إنَّهم «أحرقوا عظام كلِّ سلطان مدفون بأيِّ أرضٍ كان، معتقدين أنّهم بنو أبٍ يجمعهم أصل واحد، حتّى إنّ عظام يمين الدولة محمود بن سبكتكين (رحمة الله عليه) قد أُخرجت من قبره بغزنة وأُحرقت»^(٢).

يورد منهاجُ السَّراج ما يرى فيه عبرةً؛ فقد قال إنّهُ سمع من نجل الملك ركن الدين الغوريِّ الذي سمع بدوره من ملك سجستان الذي كان من خواصِّ الخوارزمية أنّ السلطان محمّد خوارزم شاه «أقسم أنّ كلَّ خزانة دَخَلَ فيها دانقٍ واحد من ذلك الذهب أو الفضة ممّا أُخِذَ من التِّجَار الذين بعث بهم چنگيز خان، فإنَّ تلك الخزانة والمدن والولايات التي فيها تلك الخزائن، سقطت كلّها بيد چنگيز خان»^(٣).

انطلاق الإعمار المغوليِّ

كان هدف چنگيز خان المُعلن لشنَّ الحرب على الدولة الخوارزمية هو الثأر لمقتل تجّاره المسلمين، فتحرّك بجيشٍ جرّارٍ تمكّن في أواخر سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م من الوصول إلى أترار المدينة التي شهدت المجزرة الفظيعة بحقِّ التِّجَار المسالمين. وهكذا كانت نقطة البدء في انطلاق هذا الإعمار المغوليِّ الذي سيجتاح مدن العالم الإسلاميِّ وبلدانه هو الرّدّ على التصرف الأهوج الذي قام به حاكمٌ عاش لِدَاتِهِ وَلِدَاتِهِ وَلِهَوِهِ وطربِهِ، قاده طمعه إلى قتل تجّار مسلمين مسالمين ومصادرة ما معهم من أموالٍ وبضائع.

جلال الدين منكبرني: ٥٦ - ٥٨).

(١) ينظر تذكرة الشعراء: دولتشاه السمرقنديُّ: ١٣٦.

(٢) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٢١٩؛ وينظر نزهة المقلتين: ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٣) طبقات ناصري: ١٠٤/٢.

ومنذ زمن هذه المجزرة التي حدثت سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، سيكون علينا تقسيم تاريخ العالم بالقول: ما قبل أترار وما بعد أترار.

ولم لا؟ ألم يكن اغتيال وليِّ عهد النمسا على يد أحد الوطنيين الصرب في حزيران سنة (١٩١٤م) سبباً في اندلاع الحرب العالمية الأولى التي استمرت أربع سنوات وزاد عدد ضحاياها على ١٩ مليون قتيلٍ بين عسكريٍّ ومدنيٍّ فضلاً عن المشوَّهين، وأدَّى بالتالي إلى تغيير تاريخ العالم؟

نعم كان قتل التجار هو السبب الوحيد لتفكير چنگيز خان لأول مرةٍ بغزو المدن الإسلاميَّة المتاخمة له؛ ذلك أنَّ المغول كانوا إذا أرادوا التوسُّع اتَّجهوا شرقاً نحو الصين، ولنا أن نثق تماماً برأيِ بارتولد الذي يقول «إنَّ توحيد القبائل الرُّحَّل القاطنة بمغوليا كان يسوق دائماً إلى غزو الصين»^(١)، وكانوا يوفِّقون غالباً في تلك الغزوات وخصوصاً على عهد چنگيز خان.

ومن تلك الساعة المشؤومة، الساعة التي أخذ فيها السلطان إلى أطماعه البائسة وقتل التجار، بل وبالغ في استهانتها بچنگيز خان الذي سيصبح خصمه اللدود عندما قتل حتَّى سفيره الذي بعث به إليه عقب المجزرة يطلب إليه تفسيراً لذلك العمل القبيح؛ من هناك انطلق الغزو المغوليِّ.

يعلِّق مؤرِّخ البلاط الخوارزميِّ على ذلك العمل بالقول: «فيالها من قِتلةٍ هدرت دماء المسلمين، وأجرت بكلِّ نقطةٍ سيلاً من الدم الحرام»^(٢).

كان على الملايين في العالم المترامي الأطراف، من شتَّى الأعراق والديانات وطوال قرون أن يدفعوا ضريبة الجريمة التي ارتكبتها السلطان التي لم ينجُ من شرر نيرانها التي أشعلها حتَّى أفراد عائلته الذين دُبحوا رجالاً وأطفالاً ونساءً، واستثنى من ذلك بعض الصبايا من بناته وحفيداته اللواتي أخذهن الملوك المغول سبايا ليخدمن في بيوتهم، وكانوا

(١) تركستان من الفتح العربيِّ إلى الغزو المغوليِّ: ٥٦٤.

(٢) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٤١ - ٤٣؛ وينظر تاريخ الإسلام: ٢٧٥/١٣.

يُهدون بعضهن أحياناً لمن شاؤوا من أمرائهم أو حلفائهم في بقاع الأرض، كما لم ينجُ من مصير الأسر البائس حتى جوق مغنّياته اللواتي كان يحرص على أخذهن معه أينما سار في الحرب والسلام^(١)، بل إنّه في الأيام الأخيرة من حياته عندما لزم مسجداً يصلي فيه، كان إمام المسجد «يقرأ له القرآن، وهو يبكي، وينذر النذور، ويعاهد الله تعالى بإقامة العدل إن كان يكتب سلامته، ويقيم في الملْك دعامته»^(٢).

لدينا هذه الخلاصة الشاملة لشخصيته التي يقول فيها الباحث جون مان: «لا يملك أحدُ كلمة طيبةً لذكرها حول هذا المخلوق المرّوع الذي جلب لشعبه ولدينه مصيبتهم العظمى...، لقد كان فاجراً سيئ السمعة، وكما يصوره الجويني، فإنه يسعى باستمرار إلى إشباع رغباته بصحبة الغانيات الشقراوات^(٣) وبالشرب المتواصل للنيذ الإرجواني»، ويقول: «يمكنك أن تسميه منبوذاً ومجرّداً من المبادئ الأخلاقية ومنعزلاً ومُهَيِّمًا عليه من أمّه وسكّيراً ومهووساً بالجنس، منتظراً وقوع كارثة»^(٤).

أهم أسباب هزيمة السلطان محمد خوارزم شاه

أ. الدور السيئ السلطوي الذي لعبته والدته تركان خاتون وتدخّلها في عظام الأمور وصغائرها من شؤون الدولة، وكما يُستفاد من كلام مؤرّخ البلاط النّسوي فإنّها كانت الحاكم الحقيقي للدولة؛ ذلك أنّ السلطان كان يتحرّى رضاها، وكان «لا يخالف أمرها في دقيق الأمر وجليله، وكثيره وقليله؛ لأمرين: أحدهما: ما ندب إليه من برّ الوالدين، والثاني: أنّ أكثر أمراء الدولة كانوا من عشيرتها وبهم نازع الخطائية فانزع الملْك من أيديهم».

(١) ينظر سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٥١.

(٢) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٥٦.

(٣) النّص الذي لدى الجويني (تاريخ جهانگشاي: ١٠٩/٢ - ١١٠)، ليس فيه أنّ الغانيات كنّ شقراوات، وربما السبب في ذلك أنّ جون مان استند إلى الترجمة الإنجليزية التي لا تعرف الكلمة التي استعملت فيها.

(٤) چنگيز خان، الحياة والموت والانبعث: ١٦٥.

وهي بنت أحد ملوك الترك وتنتمي إلى قبيلة بياووت (فرعٌ من قبيلة يَمَك)، وقد بوأت ترَكَان خاتون كثيرًا من أفرادها مناصبَ عليا في الدولة، وبلغ من تحكّمهم في الدولة أنهم حاولوا مرّةً اغتيال السلطان محمّد نفسه لكنّه علم بتلك المحاولة فغيّر في المساء الخيمة التي ينام فيها فنجأ، ثم رأى في الصباح أنّ الخيمة الأولى قد رُميت بالسهام تحت جنح الظلام بكثافة فصارت وكأَنَّها غربال^(١)، يقول النَّسَوِيُّ إنّه عندما تولّى السلطان محمّد خوارزم شاه الحكم «تَسَحَّبَتْ إليه قبائل يَمَك^(٢) ومن يجاورها من الترك، فتكثّر بهم واستظهر بمكانتهم؛ وتحكّمت لهذا السبب ترَكَان خاتون في المُلْك، فلم يملك السلطان إقليمًا إلّا وأُفرد لخاصّتها منه ناحيةً جليلَةً»، ويتابع: «كانت ذات مهابةٍ ورأي، وإذا رُفعت الظلمات إليها تحكّم فيها بالعدل والإنصاف، وكانت تنصف للمظلوم من الظالم، غير أنّها كانت جسورًا على القتل، وكانت لها خيرات ومُسبّلات في البلاد...، وإذا ورد عنها وعن السلطان توقيعان مختلفان في قضيّة واحدة، لم يُنظر إلّا في التأريخ فيُعْمَل بالأخير في كافّة الأقاليم^(٣)، وكان طغرا تواقيعها: عصمة الدنيا والدين، ملكة نساء العالمين^(٤)». ومع إمكانيّاتها الهائلة وشخصيتها الدراكوليّة المرعبة وخوف ابنها منها، كان لا بدّ أن تُحاط بحشدٍ من المتملّقين ممّن يتزلفون إليها، فقد كانت تُخاطب على عهد ولدها السلطان بـ«ملكة العالم»، وقد بلغت من القوّة و السطوة والتنكيل بالآخرين حدًا أنّها لمّا تأثرت من زوجها السلطان تكّش لتعلّقه بإحدى الجوّاري، تركته إلى أن ذهب إلى الحمام فأغلقت بابه عليه - وكان حارًّا - حتّى كاد أن يموت لولا أن تداركه جماعةٌ من الأمراء والملوك ممّن كان حاضرًا فكسروا الباب وأخرجوه، وقد أُصيب بالصفراء وتلفت

(١) ينظر تاريخ جهانگشاي، ١٠٩/٢.

(٢) الأشهر أن تكتب يَمَك (ينظر ديوان لغات الترك: الكاشغري: ٢٨٨/١).

(٣) هذا يعني عمليًا أنّ توقيعها هو الذي يُنقذ؛ ذلك أنّ من يريد إبطال أيّ أمرٍ صادر من السلطان، سيذهب إليها فتوقّع له على أمرٍ يخالف أمر السلطان وتضع أسفله توقيعها مع التأريخ الذي سيكون حتمًا متأخرًا عن تأريخ توقيع السلطان.

(٤) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٣٢، ٣٥ - ٣٦، ٥١ - ٥٢. الطغراء أو الطغراء: «الطُرّة تُكتب في أعلى الكتب والرسائل فوق البسملة تتضمّن نعوتَ الحاكم وألقابه، وأصلها طورغاي، وهي كلمة تترية استعملها الروم والفرس ثم أخذها العرب عنهم». (المعجم الوسيط، طغر)

إحدى عينيه»^(١). ومن مجازرها أن السلطان كان قد احتجز لديه من الملوك الأسرى وأبناء الملوك مع بعض ذوي المراتب المنيفة من كبار الصدور وسادات القوم، زهاء اثني عشر شخصاً^(٢)، وقيل إنهم كانوا اثنين وعشرين^(٣)؛ فلما أحسَّت باقتراب الخطر المغولي من مدينة خوارزم سنة (٦١٦هـ)، قرّرت مغادرة المدينة، فبادرت بدم بارد إلى قتل أولئك الأسرى.

ب. كان أغلب أفراد جيشه من المرتزقة، وفيهم ممّن كانوا أعداءه وحين انتصر عليهم عقد تحالفاتٍ معهم وجنّد منهم جنوداً، ولا شكّ في أنّ حزازات النفوس تبقى كما هي على مرّ الأيام، ومن ذلك أن الخطائيين - الذين كان قد انتزع الملك منهم يوماً - كانوا في جيشه عندما سمع بنبا سيطرة المغول على بخارى، فعبر نهر جيحون يائساً، وحينها تخلّى عنه هؤلاء الخطائيون؛ يقول النّسوي: «وفارقه إلى التتار عند اضطراب حاله، وفناء رجاله المقدمين من بني أخواله، سبعة آلاف من الخطائيّة»^(٤).

هذا فضلاً عمّا قام به خلال توسيع مملكته واجتياحه الممالك المجاورة وقتله ملوكها، و كما يقول أحد المؤرّخين «أخلى البلاد من الملوك واستقلّ بها، وكان ذلك سبباً لهلاكه»^(٥).

ويكفي أن نذكر بدر الدين العميد أحد نوّاب واليه على أترار؛ الذي التحق بچنگيز خان بعد احتلاله إيّاها وبدأ يضع الخطط ويحوك الدسائس للإيقاع بالسلطان محمّد خوارزم شاه، فقد كان سبب حقهده على السلطان هو أنّه كان قد قتل أباه وعمّه وكانا قاضيين، كما قتل جماعةً من بني عمّه وإخوته^(٦). ونذكر مثلاً أميراً آخر هو ركن الدين كبود جامه الذي كان السلطان قد قتل عمّه نصره الدين وابن عمّه وانتزع منهما بلادهما، فقد انتهر فرصة

(١) طبقات ناصري: ٣٠٠/١ - ٣٠١.

(٢) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٤٧.

(٣) ينظر: نزهة المقلتين: ٨٣، تاريخ الإسلام: ٢٧٩/١٣.

(٤) سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٥٣.

(٥) المذيل على كتاب الروضتين: أبو شامة: ٣٢٩/١.

(٦) ينظر: سيرة جلال الدين منكبرني: ٤٥، نزهة المقلتين: ٨١.

ضعف السلطان وانضمَّ إلى المغول وجاء معهم لمطاردته في ضَيْعَةٍ لجأ إليها^(١).

ج. الجانب العايب في شخصيته وانهماكه في الطرب والملذات، وبلغ به الأمر حدًّا أن كان يأخذ معه جوقة المغنّيات أينما رحل كما ذكرنا آنفًا، فضلًا عن تكالبه على حطام الدنيا ممَّا لا يتناسب وشخصية قائد كان يريد إصلاح الفاسد من أمور الأمة كما أعلن إبَّان حملته على بغداد لإسقاط الخليفة؛ ورَمَّا كان في هذا الجانب قد أخذ جزءًا من أبيه الذي وُصف بأنه «كان له حظٌّ وافر من العلم والفضل والفنِّ والموسيقى»^(٢)، ودُكر أنَّه «كان حاذقًا في الموسيقى ولم يكن أحدٌ أَلعبَ منه بالعود»^(٣)، كان مولعًا بمعاقره الخمر، فرَمَّا سكر ليلة بطولها يكرع كؤوسها وسط ضجيج الأنغام والأغاني^(٤)، ففي ذروة التحركات العسكرية المغوليَّة المدمِّرة، حدث أن وصل نيسابور في ١٢ من صفر سنة (٦١٧هـ)، فنزل فيها «وانهمك في نيل اللذائذ ومعاشره الغواني واستماع الأغاني ومعاقره الخمر، والتفَّ حوله أهل اللُّهو والطرب»^(٥)، ويبدو أن سُكره يجعله أكثر تساهلًا في إراقة الدماء، فقد استغلَّ مجموعة من حسَّاد الطبيب والمتصوف الشهير مجد الدين البغداديّ «سلطان العاشقين، فخر الشهداء»^(٦)، استغلُّوا «الوقت الذي كان [فيه] السلطان سكران من الخمر فقالوا له: أمُّك دخلتْ في عقد الشيخ مجد الدين مذهب أبي حنيفة، فغضب السلطان غضبًا شديدًا، فأمر أن يغرقوه في الدجلة، فغرقوه»^(٧)، وكان نجلاه محمد وغيث الدين على سرِّه في معاقره الخمر^(٨).

(١) ينظر سيرة السلطان جلال الدين منكبرني: ٥٧.

(٢) طبقات ناصري: ٣٠٠/١.

(٣) إنسان العيون: ١٠٧.

(٤) ينظر تاريخ جهانگشاي: ٢٨/٢.

(٥) تاريخ جهانگشاي: ١٠٩/٢ - ١١٠.

(٦) كما يسميه دولتشاه السمرقنديّ في تذكرة الشعراء: ١٩٢.

(٧) نفحات الأنس: الجامي: ٥٨١/٢، وواضح أنَّ «الدجلة» هو تصحيف اسم نهر في ما وراء النهر لم يهتد إليه، قال الطهرانيّ في الذريعة: ٩٦٠/(٣)٩: إنَّه غرَّقَه في جيحون.

(٨) ينظر: تاريخ جهانگشاي: ١٠١/٢، تذكرة الشعراء: ١٤٦، نفثة المصدر: النَّسوي: ١٨ - ٢٠.

إنَّ السهولة التي تمكَّن بها چنګيز خان من اجتياح مواقع قوات محمَّد خوارزم شاه وإلقاءه القبض على واليه في أترار غاير خان وقتله^(١)، أثبتت هشاشة الوضع العسكري لخوارزم شاه وبالتالي هشاشة الأوضاع العسكريَّة للمدن الإسلاميَّة التي كانت تحت سلطته، فاستطاع المغول اقتحامها الواحدة تلو الأخرى، وكانت أهمُّ أسباب استمرارهم في غزواتهم هناك، هي مطاردة خوارزم شاه الذي كان يهرب أمامهم من مدينة إلى أخرى، فضلًا عن الطمع بثروات تلك المدن الآهلة بالتجَّار والأموال والكنوز حتَّى إنَّهم «لم يُبقوا على مدينة إلَّا خربوها، وكلَّ ما مرُّوا عليه نهبوه، وما لا يصلح لهم أحرقوه»^(٢).

وفي أثناء ذلك ارتكبوا من المجازر بحقِّ سكَّانها ما تشيب له الرؤوس، إذ بالغوا في الإجرام وذبح البشر من غير تمييز بين صغير وكبير، فقتلوا عمدًا حتَّى الأطفال الرضع في المهود، ويكفي أن نذكر هذه الواقعة لنعلم مدى الخسَّة التي عُرِف بها هؤلاء الوحوش، فعندما تمكَّنوا من دخول مدينة (مَرُو) ارتكبوا بحقِّ سكَّانها مذابحَ مرعبةً فلم ينجُ منهم إلَّا قليل ممَّن اختبأوا في الزوايا أو ببعض الأماكن التي لم يصلوها، وحين انتهت الغارة والنهب والقتل وعيَّن المغول حاكمًا للمدينة، خرج هؤلاء من مخابئهم وكان عددهم خمسة آلاف نسمة، وعندما أرادوا (أي المغول) مغادرة المدينة وصل إليها جمعٌ من زملائهم الجنود الذين كانوا قد تخلَّفوا عنهم في الطريق، فقالوا لهم: أين حصَّتنا من الذبح؟! ثمَّ اتَّجهوا إلى مَن بقي حيًّا من السكَّان؛ أي أولئك الخمسة آلاف وطلبوا منهم أن يحمل كلَّ واحد منهم كمِّية من الغلال ويتجهوا إلى الصحراء، إذ بدا الأمر وكأنَّ هؤلاء الضحايا ينقلون هذه الغلال لأمرٍ ما، وهناك في الصحراء قام المغول بذبحهم جميعًا؛ وهكذا فإنَّ «كلَّ من وجدوه حيًّا، انتزعوه من قيد الحياة وجرَّعوه شراب الفناء»^(٣)، لمجرَّد إشباع شهوتهم في الذبح.

لقد كان عملاً أهوج غير محسوب النتائج ذلك الذي أقدم عليه محمَّد خوارزم شاه، بسبب طمعه في أموال جمعٍ من التجَّار المسالمين، ممَّا جرَّ على شعوب المنطقة والعالم الولايات والكوارث.

(١) ينظر تاريخ مختصر الدول: ٤٠١.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣٧٧/١٢.

(٣) تاريخ جهانگشاي: ١٢٨/١.

هل كان التوسُّع المغولي محتومًا؟

يوجد رأي يقول إنَّ توسُّع إمبراطورية المغول كان سيقودهم حتمًا إلى الاصطدام بجيرانهم الخوارزميين؛ يقول شبولر: «عندما أصدر خوارزم شاه أمره بقتل السفير المفوض لچنګيز خان، كما صبَّ لعناته عليه، لم يعد بمقدور أيَّة قوةٍ أن تُهدئ غضب الخان المغولي، لا شكَّ في أنَّ تطورات الحوادث التي كانت قد وضعت چنګيز خان تحت ضغط أخلاقيٍّ أيضًا، قد دفعته إلى أن يشنَّ هجومه؛ وإلاَّ فمن البديهي أن لا يقنع المغول بالبقاء التي في أيديهم من آسيا الوسطى وسيبادرون في نهاية المطاف إلى شنِّ هجومٍ على أراضي جنوب غربي آسيا، كما أنَّ مشاهير قادة تركستان كانوا دائمًا طامعين في الاستيلاء على الهضبة الإيرانية، فضلًا عن أنَّ المغول في السنوات الأولى لاتحادهم كان لديهم إيمانٌ راسخٌ بأنَّهم بقيادة حاكمهم سيمتلكون العالم، ويعلمون أنَّ بانتظارهم - بغية تحقيق هذا الهدف - معارك طاحنة»^(١).

نحترم هذا التحليل، لكنَّه لا يمنعنا من التساؤل: من قال إنَّ السيف هو الوسيلة التي كان المغول يفضلون التفاوض بها مع الآخرين آنذاك^(٢)؟ ألم يكن چنګيز خان قد فكَّر بالسلام حين بعث أولئك التجَّار الذين اختارهم من المسلمين ليفتحوا آفاق التبادل التجاريِّ بينه وبين مدن الدولة الخوارزمية المسلمة؟

لدينا بهذا الشأن رأي بارتولد الذي يقول: «إنَّ المغول عند فراغهم من توطيد سلطانهم بصورةٍ قاطعةٍ على منطقة السهوب المتاخمة لأراضي خوارزم شاه، لم يكن ليغيب عن نظرهم الضعف الداخليُّ لتلك الدولة؛ وفي ظروف كهذه فإنَّ غزو الرُّحَّل للأقطار المتحصَّرة - بما سيجرُّه من ثرواتٍ وغنائم - كان أمرًا محتمًّا»، ثمَّ يستدرك فيقدِّم الرأي المهمَّ التالي الذي تؤيِّده الوقائع التاريخية: «غير أنَّ چنګيز خان لم يكن في تلك اللحظة على علم بذلك

(١) تاريخ مغول در إيران: شبولر: ٢٧.

(٢) لا يمكن القياس هنا على ما كان بينهم وبين جيرانهم من الصينيين، فعلاقة الصراع بينهما مرَّت لسنواتٍ طويلةٍ بتعقيدات واحتكاكات بين قبائل الطرفين وأسْرهم، بيد أنَّهم كانوا ينظرون إلى المسلمين نظرة احترام.

الضعف^(١)، ويبدو من تجهُّزه للحرب أنه كانت لديه فكرة عالية جدًّا عن جيش خوارزم شاه، لكلِّ هذا فإنَّ المغول - فيما يغلب على الظنَّ - كانوا سيقنعون لبعض الوقت بالدخول في علاقات تجاريَّة سلميَّة إذا ما أعطى محمَّد (خوارزم شاه) موافقته على ذلك^(٢).

(١) أي الضعف الذي كانت عليه الدولة الخوارزميَّة آنذاك.

(٢) تركستان...: ٥٧١.

المصادر والمراجع

أ. العربية

١. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: المقدسيّ البشاريّ، محمّد بن أحمد الحنفيّ (توفيّ حوالي سنة ٣٩٠هـ)، تحقيق: دي خويه، ليدن، ١٩٠٦م.
٢. أساس البلاغة: الزمخشريّ، محمود بن عمرو الخوارزميّ المعتزليّ (٤٦٧ - ٥٣٨هـ)، القاهرة، مطبعة أولاد أورفاند، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م.
٣. الأعلام: الزركليّ، خير الدين بن محمود بن محمّد بن (١٨٩٣ - ١٩٧٦م)، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
٤. إنسان العيون في مشاهير سادس القرون: ابن أبي عديّة، أحمد بن محمّد بن عمر المقدسيّ الشافعيّ (٨١٩ - ٨٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور إحسان ذنون الثامريّ والدكتور محمّد عبد الله القدحات، دار وُرد، عمّان، ٢٠٠٠م.
٥. البداية والنهاية: ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر الشافعيّ (٧٠١ - ٧٧٤هـ)، تحقيق: عليّ شيري، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٦. بلدان الخلافة الشرقية: لسترنج، غاي (ت ١٩٣٣م)، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.
٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبيّ، محمّد بن أحمد بن عثمان الترمكانيّ الشافعيّ (٦٧٣ - ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشّار عواد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٨. تاريخ تركستان الشرقية: بوغرا، محمّد أمين (١٩٠١ - ١٩٦٥م)، مطابع بهادر، مكّة المكرمة، ١٤٢٩هـ.
٩. تاريخ الزّمان: ابن العبريّ، غريغوريوس بن أهرون المَلطيّ (٦٢٣ - ٦٨٥هـ)، تَرْجَمَة: الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.
١٠. التاريخ السياسيّ للدولة الخوارزمية: صبرة، الدكتورة عفاف سيّد، دار الكتاب الجامعيّ، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
١١. تاريخ الشعوب الإسلاميّة: بروكلمان، كارل (١٨٦٨ - ١٩٥٦م)، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنيّر البعلبكيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٨م.
١٢. تاريخ فاتح العالم: عطاء ملك بن بهاء الدين محمد الجوينيّ (٦٢٣ - ٦٨١هـ)، ترجمة وتحقيق: الدكتور محمد التونجي، دمشق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٣. تاريخ مختصر الدول: ابن العربي، غريغوريوس، ترجمة: الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.
١٤. تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر الهجري: عودات، الدكتور أحمد، وبيضون، جميل، والناطور، شحادة، دار الكندي، إربد، ١٩٩٠م.
١٥. تاريخ الملك الظاهر: ابن شدّاد، عزّ الدين مُحَمَّد بن عَلِي بن إبراهيم (٦١٣ - ٦٨٤هـ)، تحقيق: أحمد حطيط، النشرات الإسلاميّة لجمعية المستشرقين الألمانيّة، فيسبادن، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
١٦. التاريخ المنصوري، الكشف والبيان في حوادث الزمان: ابن نظيف الحموي، مُحَمَّد بن عَلِي بن غازي الحنفي الملقّب بالأصيل (٥٩٩ - ٦٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور أبو العيد دودو، مجمع اللغة العربيّة، دمشق، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
١٧. تركستان من الفتح العربيّ إلى الغزو المغوليّ: بارتولد، فاسيلي فلاديمير بارتولد (١٨٦٩ - ١٩٣٠م)، ترجمة: الدكتور صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
١٨. تكلمة المعاجم العربيّة: دوزي، رينهارت بيتر آن (١٨٢٠ - ١٨٨٣م)، تَرْجَمَة: الدكتور مُحَمَّد سليم النعيمي، مراجعة جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، طبع في السنوات ١٩٨٠ - ٢٠٠٠م.
١٩. جامع التواريخ، تاريخ خلفاء چنغيز خان: رشيد الدين الهمذاني، فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير الهمذاني الشافعي (٦٤٨ - ٧١٨هـ)، ترجمة: الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد والدكتور يحيى الخشاب، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٠. الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السّير، ج ٩: ابن الساعي، عليّ بن أنجب بن عبد الله الخازن البغداديّ الشافعي (٥٩٣ - ٦٧٤هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، المطبعة السريانيّة الكاثوليكيّة، بغداد، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.
٢١. چنغيز خان إمبراطور الشر وقاهر العالم: عبد الحكيم، منصور، دار الكتاب العربيّ، دمشق، ٢٠٠٨م.
٢٢. چنغيز خان، الحياة والموت والانبعاث: مان، جون (١٩٤١ -)، ترجمة: حسن عويضة، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة (المجمع الثقافي)، أبو ظبي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
٢٣. الجواهر المضية في طبقات الحنفيّة: القرشي، عبد القادر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الحنفي (٦٩٦ - ٧٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، دار هجر، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٢٤. حلية الإنسان وحلبة اللسان: ابن عنبّة، أحمد بن عَلِي بن الحسين الحسيني (حوالي ٧٤٨ - ٨٢٨هـ)، تحقيق: رفعت الكليسيّ المعلم، إستانبول، ١٣٤٠هـ.
٢٥. حياة تيموتشين (چنغيز خان) الذي فكّر في السيطرة على العالم: ي. إ. كيتشانوف، ترجمة: طلحة الطيب، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
٢٦. الدولة الخوارزمية والمغول: حمدي، الدكتور حافظ أحمد، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ١٩٥٠م.

٢٧. ديوان لغات الثُّرك: الكاشِغَرِي، محمود بن الحسين (ألَّف كتابه في بغداد بين السنوات ٤٦٤ و٤٦٦هـ)، دار الخلافة العليَّة، ١٣٣٣هـ.
٢٨. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: الطهراني، آغا بزرك محسن بن عليّ الإمامي (١٢٩٣ - ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٢٩. رسالة ابن فضلان: ابن فضلان أحمد (توفي بعد سنة ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور سامي الدهان، دار صادر، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٣٠. سير أعلام النبلاء: الدَّهَبِي، محمَّد بن أحمد، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.
٣١. سيرة السلطان منكبرني: النَّسَوِي، محمَّد بن أحمد بن عليّ الخُرَنْدِزِيّ الزَّيْدِيّ (توفي سنة ٦٤٧هـ)^(١)، تحقيق: ضياء الدين موسى بونبادوف، دار النشر والطباعة (الأداب الشرقية)، موسكو، ١٩٩٦م.
٣٢. السيف المهنَّد في سيرة الملك المؤيَّد: العيني، محمود بن أحمد بن موسى الحنفي (٧٦٢ - ٨٥٥هـ)، تحقيق: فهيم محمَّد شلتوت، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٦ - ١٩٦٧م.
٣٣. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله المدائنيّ المعتزليّ الشافعي (٥٨٦ - ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.
٣٤. الشعور بالعمور: الصفديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك الشافعيّ (٦٩٦ - ٧٦٤هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرزاق حسين، دار عمَّار، عمَّان، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
٣٥. طبقات الشافعيَّة الكبرى: السُّبُكِيّ، تاج الدين عبد الوهَّاب بن عليّ بن عبد الكافي الشافعيّ (٧٢٧ - ٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمَّد الحلو ومحمود الطناحيّ، مصر، ١٩٩٢م.
٣٦. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ابن عنبه، أحمد بن عليّ بن الحسين الحسينيّ (حوالي ٧٤٨ - ٨٢٨هـ)، تحقيق: محمَّد حسن الطالقانيّ، المكتبة الحيدريَّة، النجف، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.
٣٧. عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجيّ (٥٩٦ - ٦٦٨هـ)، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
٣٨. فهرس التراث: الحسينيّ الجلاي، محمَّد حسين (١٣٢٤هـ -)، نشر مؤسَّسة دليل ما، قم، ١٤٢٢هـ.
٣٩. لسان العرب: ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، محمد بن مكرم (٦٣٠ - ٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير ورفقاه، مصر، دار المعارف.
٤٠. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، عليّ بن محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم الشيبانيّ (٥٥٥ - ٦٣٠هـ)، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
٤١. لباب الأنساب والألقاب والأعقاب: عليّ بن زيد بن محمَّد بن فنْدُق البَيْهَقِيّ (٤٩٠ - ٥٦٥هـ)،

(١) استناداً إلى ابن الوردي في تاريخه، ٢/٢٦١.

- تحقيق: مهدي الرجائي، قم، ١٤١٠هـ.
٤٢. مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس: ابن الكازر زوني، علي بن محمد بن محمود البغدادي الشافعي (٦١١ - ٦٩٧هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٠م.
٤٣. مرآة الزمان: سبط ابن الجوزي، يوسف بن قز أجلي البغدادي الحنيلي الحنفي (٥٨١ - ٦٥٤هـ)، تحقيق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣م.
٤٤. معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (٥٧٤ - ٦٣٦هـ)، تحقيق: فرديناند وستنفلد، لايبك، ١٨٦٩م.
٤٥. المعجم الوسيط: تأليف: جمع من الأساتذة، إصدار مجمع اللغة العربية في القاهرة.
٤٦. معجم تمهيدي لنظرية التحليل النفسي اللاكائية: إيفانس، ديLAN (١٩٦٦ -)، ترجمة: الدكتور هشام روحانا، دار نينوى، دمشق، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
٤٧. معجم مصطلحات التحليل النفسي: لابلاش، جان؛ وبونتاليس، جان برتراند، ترجمة: الدكتور مصطفى حجازي، المؤسسة الجمعية للدراسات، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٤٨. المغول في التاريخ: الصياد، الدكتور فؤاد عبد المعطي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.
٤٩. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٤: ابن واصل، محمد بن سالم بن واصل المازني التميمي الحموي الشافعي (٦٠٤ - ٦٩٧هـ)، تحقيق: الدكتور حسنين محمد ربيع، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م.
٥٠. مقدمة الترجمة العربية لكتاب جامع التواريخ تاريخ المغول، الإيلخانيون، تاريخ هولوكو (المجلد الثاني - الجزء الأول): كاترمير، أنيين مارك (١٧٨٢ - ١٨٥٧م)، ترجمة: نشأت وهنداوي والدكتور الصياد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٠م.
٥١. زهة المقلتين في سيرة الدولتين العلائية والجلالية وما كان فيهما من الوقائع التاريخية: أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي الشافعي (٥٩٩ - ٦٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم الزبيقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
٥٢. نظرية التحليل النفسي في العصاب: فينخل، أوتو (١٨٩٧ - ١٩٤٦م)، ترجمة: الدكتور صلاح مخيمر وعبدو ميخائيل رزق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٥٣. نفحات الأنس من حضرات القدس: الجامي، عبد الرحمن بن أحمد الشافعي (٨١٧ - ٨٩٨هـ)، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٥٤. هدية العارفين، أسماء وآثار المصنفين: الباباني البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم (ت ١٣٣٩هـ)، إستانبول، ١٩٦٠م.

٥٥. الوافي بالوفيات: الصَّفَدِيُّ، صلاح الدين، تحقيق: مجموعة محققين، طُبعت أجزاءه في بيروت وفيسبادان في سنوات مختلفة.

ب. الفارسيّة

٥٦. إمبراطوري صحرا نوردان: غروسية، رينه (١٨٨٥ - ١٩٥٢م)، ترجمة: عبد الحسين ميكده، شركة انتشارات علمي وفرهنكي، طهران، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠م.

٥٧. إيران وما وراء النهر در نوشته هاي جيني ومغولي سده هاي ميانه: برتشنايدر، إميلي (١٨٣٣ - ١٩٠١م)، ترجمة وتحقيق: الدكتور هاشم رجب زاده، بنياد موقوفات أفشار، طهران، ٢٠٠٢م.

٥٨. تاريخ جَهَانْگُشَاي: الجَوِيْنِي، علاء الدين عَطَا مَلِك (٦٢٣ - ٦٨٠هـ)، تحقيق: محمّد قزويني، ليدن، ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م.

٥٩. تاريخ فتوحات مغول: ساندرز، جون جوزيف (١٩١٠ - ١٩٧٢م)، ترجمة: أبو القاسم حالت، نشر مؤسسه أمير كبير، طهران، ١٩٨٤م.

٦٠. تاريخ مغول در ایران: شبولر، برتولد (١٩١١ - ١٩٩٠م)، ترجمة: محمود مير آفتاب، شركة انتشارات علمي فرهنكي، طهران، ١٩٨٦م.

٦١. تذكرة الشعراء: دولتشاه السمرقندي، ابن علاء الدولة (ألّف كتابه سنة ٨٩٢هـ تقريبًا)، تحقيق: البروفسور إدوارد براون، ليدن، ١٣١٨هـ/١٩٠٠م.

٦٢. جامع التواريخ (تاريخ سلاطين خوارزم): رشيد الدين الهمذاني، تحقيق: محمّد روشن، دار التراث المخطوط، طهران، ٢٠١٠م.

٦٣. چنگيز خان: فلاديميرتسوف، بوريس (١٨٨٤ - ١٩٣١م)، ترجمة: شيرين بياني، شركة انتشارات علمي فرهنكي، طهران، ١٩٨٦م.

٦٤. سيرت جلال الدين منكبرني، ترجمة: فارسية أنجزت في القرن السابع الهجري: النَّسَوِي، محمّد بن أحمد بن عليّ الحُرُودِيّ الزَّيْدِيّ (تُوْفِي سنة ٦٤٧هـ)، تحقيق: مجتبى مينيوي، انتشارات علمي وفرهنكي، طهران، ٢٠١٥م.

٦٥. شرح مشكلات تاريخ جهانگشاي جويني: خاتمي، الدكتور أحمد، نشر بايا، طهران، ٢٠٠١م.

٦٦. طبقات ناصري: منهاج السّراج، منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني، لُقَب نفسه في ص ٦ من الجزء الأول من كتابه هذا بـ «الناصر لأهل السنّة والجماعة» (٥٨٩ - حدود سنة ٦٦٠هـ)، تحقيق: عبد الحي حبيبي، طهران، ١٩٨٤م.

٦٧. لباب الألباب: العوفي، سديد الدين محمّد بن محمّد البخاريّ (٥٧٢ - ٦٣٥هـ)، تحقيق: إدوارد

براون، ليدن، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م.

٦٨. لغت نامه: دِهْخُدا، عَلِي أكبر بن خانابا (١٨٧٧ - ١٩٥٥م)، منشورات جامعة طهران.

٦٩. مجمل التواريخ: فصيح الخوافي، أحمد بن محمد بن يحيى الباهلي (٧٧٧ - ما بعد ٨٤٥هـ)، تحقيق: محسن نصرآبادي، مؤسسة أساطير، طهران، ٢٠٠٧م.

٧٠. نفثة المصدور: النَّسَوِي، مُحَمَّد بن أحمد بن عَلِي الخُرْتَدَزِي الرَّيْدَرِي (تُوفِي سنة ٦٤٧هـ)، تحقيق: الدكتور أمير حسن يزدگردي، نشر ویراستار، طهران، ١٩٩٩م.

-
- | | | |
|-----|---|--|
| 233 | A Brief [Treatise] on Arabic Grammar
By: Allama Sayed Ali Al-Husseini Al-Maibdi Al-Yazdi (1260 - 1313 H) | Manuscript Editing
Waheed Al-Shwandi
Heritage Researcher
Iran |
|-----|---|--|
-

Criticism of Heritage works

- | | | |
|-----|--|---|
| 283 | Additions to the Book (Questions and Answers)
Attributed To: Abu Muhammad Abdullah Ibn Al-Sayed Al-Batliosi (d. 521 AH) | Manuscript Editing
Dr. Walid Al-Saraqabi
University Hama
Syria |
| 339 | (A Catalogue of Poetry Collections Examined by Iraqi Researchers till the Year 2017) Opinions & Reviews | Asst. Prof. Abbas Hani Al-Charrakh
Educational Directorate Babylon
Iraq |
-

Manuscripts indices and bibliographies of publications

- | | | |
|-----|---|---|
| 375 | A Catalogue of Scholars & Notables Individual Biographies/ Part Two | Ibrahim Al-Said Saleh Al-Sharifi
The Islamic Seminary - Najaf
Iraq |
| 395 | Manuscript Catalog of Muhammad Ali Al-Balaghi/ Part One | Prepared by: Salah Mahdi Al-Sarraj
Director of the Center for Photographing and Cataloging Manuscripts - Al-Abbas (p) Holy Shrine
Presented by: Dr. Sanad Muhammad Ali Al-Balaghi
Iraq |
-

Heritage News

- | | | |
|-----|--------------------|-----------------------------|
| 493 | From Heritage News | Prepared By Editorial Board |
|-----|--------------------|-----------------------------|
-

Content

Heritage studies

- | | | |
|-----|---|--|
| 17 | The Spark That Ignited the Mongol Invasion of The Islamic World | Youssef Al-Hadi
Heritage Researcher
Iraq |
| 75 | Al-Allama Al-Hilli's Influence on Prominent Zaydi Scholars
Allama Ibrahim bin Muhammad Al-Sana'ani (8th A.H) An Example | Al Sheikh Sattar Karim Al-Fartousi
Islamic Seminary - Al-Najaf Al-Ashraf
Iraq |
| 105 | A Surviving Manuscript from Najib Basha's Massacre of The Holy City of Karbala
(1258 AH / 1842-1843 AD) | Dr. Muqdam Muhammad Jassim
Al-Bayati
General Directorate of Education,
Maysan Governorate
Iraq |
| 127 | Al-Sayed Abu Al-Qasim ibn Al-Hussein Al-Razavi Al-Lahori (d. 1324 AH)
His Life & Legacy | Menif Fayaz
Heritage Revival Center - Al-Abbas's
(p) Holy Shrine
Iraq |
| 165 | A Codicological Observation
A Manuscript Copy of "A Collection of Al-Mutanabbi's Poetic Works" by Abdul Aziz Al-Fashtali | Dr. Al-Ghali Benhshoum
University of Moulay Ismail
Morocco |

Reviewed texts

- | | | |
|-----|--|--|
| 203 | A Treatise on The Rightful Person's Settlement with His Opponent When He Is Unable to Defend His Case
By: Al-Sayed Hussein ibn Muhammad Ibrahim Al-Husseini Al-Qazwini (D. 1208 AH) | Manuscript Editing:
Sheikh Ali Harran Al-Ziyadi
Sheikh Al-Tusi Research &
Manuscript Editing Center
Iraq |
|-----|--|--|

lowing regulations:

1. The researcher or reviewer will be informed of delivering the posted material to be published within a period may not exceed the maximum of two weeks.
2. The researchers should be reminded of the publication acceptance of the editorial board within a period may not exceed the maximum of two months.
3. The pieces of research, whose evaluators realize that it should be amended or be added to, will be returned to their writers in order to be organized accurately before publication.
4. The researchers will be informed if their pieces of research are rejected without mentioning the reasons of rejection.
5. Every researcher will be given one copy of the issue in which his research is published, with three separate pieces of research from the same published material and a reward, as well.

• **The journal considers the following priorities in publication:**

1. The date of receiving the research by the editor-in-chief.
 2. The date of presenting the revised pieces of research.
 3. The variety of the research materials as far as possible.
- The published pieces of research express the opinions of their writers and do not necessarily reflect the opinions of the journal.
 - The pieces of research are arranged according to the technical considerations which have nothing to do with the status of the researcher.
 - The reviewer or the researcher who is not known for the journal has to send on the journal email, a brief biographical note, his address and email, for the introductory and documentary purposes on the following email: *Kh@hrc.iq*
 - Editorial board reserves the right to make the required amendments upon the approved pieces of research for publication.
 - The board of editors will chose distinguished researches published in the magazine, and vows to republish them separately.

The Publishing Terms

- The journal should publish the scientific pieces of research that are related to the manuscripts and documents, reviewed texts, direct studies, and objective critical follow-ups which are related to it.
- The researcher should commit himself with the requisites of the scientific research and its rules in order to get benefit from its sources, and be within the frame of the Researchers 'style during discussion and criticism. Otherwise, the examined research or the text will contain certain topics that attempt to raise the feeling of sectarianism or even sensitivity towards any belief, ideology, or sect.
- The research should not be published previously or presented to other means of publication. The researcher is responsible for doing an independent commitment.
- The font should be in (Simplified Arabic). The texts printing size should be (16), and the margins printing size should be (12), and the pages number should not be less than (20).
- The reviewed research or text should be printed on the (A4) type of paper in one copy with a CD. The pages should be numbered successively.
- The research should be presented with its Arabic and English abstracts, each in a separate paper including the title of the research.
- The familiar scientific principles, documentation and references should be taken into account. The documentation should include the name of the source, the number of the part and the page
- The research should be presented with a separate list of references including the title of the source, the name of the author, the name of the investigator or the interpreter if s/he is available, the publishing country name, the place of publication and finally the date of publication. The name of the books and pieces of research should be arranged alphabetically. And if there are foreign references, they should be added separately, i.e. not within the Arabic references
- Researches shall be subject to the scientific deduction program and to a confidential assessment of its validity for publication, and shall not be returned to its owners, whether accepted for publication or not, according to the fol-

Prof. Dr. Waleed M. Al-Seraakbi (Syria)

Collage of Arts - Hama University

Dr. Abbas Hani Al-Grakh (Iraq)

Ministry of Education - Babylon Directorate of Education

Dr. Ali Fareg Al-Ameri (Italy)

Ambrosiana Library / Milano

Collage of Sociology - University of Milano Bicocca

Mr. Abd Al-khaliq Al-Genbi (KSA)

Member of the Saudi Society for History and Archeology

Member of the Gee Society for History and Archaeology

Advisory board

Prof. Dr. Sahib G. Abo Genaah (Iraq)

Collage of Arts - Al-Mustansiriyah University

Prof. Dr. Farek Abed Aoun Al Janabi (Iraq)

College of Education - Al-Mustansiriya University

Prof. Dr. Muhai H. Al-Serhan (Iraq)

Collage of Law - Al-Mahrain University

Prof. Nebeela Abd Al-Munam (Iraq)

Arab Scientific Heritage Revival Centre - Baghdad University

Prof. Dr. Ahmed Shawky Benbin (Morocco)

Director of Al-Hassania Library at the Royal Palace in Rabat

Dr. Saeed Abd Al-Hamneed (Egypt)

*Director General of Restoring Museums of Antiquities- Ministry
of Egyptian Antiquities*

Prof. Dr. Salih M. Abbas (Iraq)

Arab Scientific Heritage Revival Centre - Baghdad University

Prof. Dr. Fadhil Al-Beyaat (Turkey)

The Research Centre for Islamic History, Art and Culture

Prof. Dr. Munther A. Al Muntheri (Iraq)

Collage of Arts - Baghdad University

The general supervision

His Eminence Sayid Ahmed Al- Saafi

Editor-in-chief

Sayid Layth Al- Musawi

Supervisor of the cultural and intellectual affairs section

Managing editor

Mohammad Al-Wakeel

Sub editor

*Assistant Lecturer. Husayn
Al-Sheibaani*

Editorial board

Prof. Dr. Dhrgham Kareem Al- Mosawi

Dr. Mohammad Aziz Al- Waheed

Mr. Hasan Arebi

Ali Aday Nahi Al-Hasnawi

Arabic Language Check

Assistant Lecturer. Ali Habeeb Al- Aedaani

Assistant Lecturer. Radhy Fahm AlKindi

Art Director

Ali Hussien Alwan AlTamimi



*Al- Abbas Holy Shrine
The High Commission for Heritage Revival
The Heritage Revival Centre*

Al-Abbas Holy Shrine. The High Commission for Heritage Revival. The Heritage Revival Centre.

AL-Khizanah : A Half Annual Scientific Journal which is Concerned with Manuscripts and Documents \ Issued by The Heritage Revival Centre.- Karbala, Iraq : Abbas Holy Shrine, The High Commission for Heritage Revival, The Heritage Revival Centre, 1438 hijri = 2017-

Volume : Illustrations ; 24 cm

Semi-Annual.- The Fourteenth Issue, The Seventh year, March 2023-

ISSN : 4586 - 2521

Includes Supplements.

Includes Bibliographies.

Text in Arabic abstract in Arabic and English.

1. Manuscripts, Arabic --Periodicals. A. title.

LCC : Z115.1 .A8378 2021 NO. 14

DDC : 011.31

**Cataloging Center and Information Systems - Library and House of Manuscripts of
Al-Abbas Holy Shrine**

ISSN : 4586 - 2521

Consignment Number in the Housebook and Iraqi

Documents: 2245, 2017

Iraq- Holy Karbala

You can contact or communicate with the journal via:

00964 7813004363

Web: Kh.hrc.iq

Email: Kh@hrc.iq

Post-Office: Holy Karbala P.o (233)



*Al- Abbas Holy Shrine
The High Commission
for Heritage Revival*

Al-Khizannah

*A Half Annual Scientific Journal
which is Concerned with Manu-
scripts Heritage and Documents*

*Issued by
The Heritage Revival Centre*

*The Fourteenth Issue, The Seventh year,
Mahram 1445 AH - August 2023*



*In the Name
of Allah the
Compassionate
the Merciful*

PRINT ISSN : 2521 - 4586

Al-Khizanah

*A Half Annual Scientific
Journal which is Concerned
with Manuscripts Heritage
and Documents*

*Issued by
The Heritage Revival Centre*

*The Fourteenth Issue, The Seventh year,
Mahram 1445 AH - August 2023*

for contact:

mob: 00964 7813004363

web: kh.hrc.iq

email: kh@hrc.iq